

مَجَلَّةُ تَدْوِينِ

مَجَلَّةٌ دُورِيَّةٌ عِلْمِيَّةٌ مَحْكَمَةٌ تُنْفِذُ بِمُحَاسِنِ وَنُشْرِ الْجُودِ وَالسَّلَامَةِ الْمُصَلِّاتِ بِمَجَالَاتِ تَدْوِينِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ ، وَتَهَضُّرِ مَرْتَدِّينَ فِي السَّنَةِ

العدد الثامن - السنة الرابعة . رجب ١٤٤١ هـ ، الموافق مارس ٢٠٢٠ م



١٢٩

﴿ كَتَبْنَا إِلَيْكَ مَبْرُوكًا لِيَدَّبُرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾



مَوْضُوعَاتُ الْعَدْوِ :

● المَقَاصِدُ الْقُرْآنِيَّةُ فِي سُورَةِ ق

أَبِيحَيْثُ : / مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ يُوسُفَ

● بِلَاغَةُ اسْتُلُوبِ الْحَوَارِ الْقُرْآنِيِّ ، حِوَارِ الْأَنْبِيَاءِ مَعَ آسَاتِيهِمْ مُؤَدِّجًا

أَبِيحَيْثُ : د / بَدْرِيَّةُ بِنْتُ سَيِّدِ مَعْصُومِ الْوَالِدِيِّ

● الْأَسْتِيفَاتُ الْإِجْبَائِيَّةُ فِي الْحَوَارِ الْقُرْآنِيِّ ، حِوَارَةِ تَأْسِيفِ "عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ"

أَبِيحَيْثُ : د / حَامِدُ بْنُ رَاسِمِ بْنِ مُصَلِّحِ الرَّبُوفِيِّ

● بِنَاءُ سُورَةِ الْحَاقَّةِ عَلَى تَعْظِيمِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَمُقْتَضَى الْعُبُودِيَّةِ

أَبِيحَيْثُ : د / وَفِيقُ عَلِيِّ رَبَّاعِي

● تَقْرِيرٌ عَنِ رِسَالَةِ الْعِلْمِيَّةِ ، بِمَنْعَانِ : تَدْوِينِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ

أَبِيحَيْثُ : د / عَبْدِ الْقَلِيلِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الشَّوَيْخِيِّ

● تَقْرِيرٌ عَنِ مَعْصِيَةِ هِدَايَاتِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ

● تَقْرِيرٌ عَنِ الْمَوْسَمِ الْقُرْآنِيِّ الدَّوِيِّ الثَّانِي فِي هِدَايَاتِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ



مَجَلَّةُ التَّنْزِيلِ

البحث الثالث

آلَسُنْمُهُامُ الْإِلْحَايِي فِي أَحْوَارِ الْقُرْآنِي
«دِرَاسَةٌ تَأْصِيلِيَّةٌ تَطْبِيقِيَّةٌ»

الْبَاحِثُ: د / حَامِدُ بْنُ رَاضِيِّ بْنِ مُصَلِّحِ الرَّوِّيِّ

الأستاذ المساعد بقسم التفسير وعلوم القرآن- كلية
القرآن الكريم- بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

✿ حصل على درجة الماجستير من كلية القرآن الكريم. الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
بأطروحته: تفسير القرآن بالقرآن من بداية المائة إلى نهاية التوبة...

✿ حصل على درجة الدكتوراه من كلية القرآن الكريم. الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
بأطروحته: تحقيق المحرر الوجيز لابن عطية من بداية غافر إلى نهاية الحجرات.

أهم النتائج العلمي:

✿ بحث الحجج التي أبطلها القرآن.

✿ نصوص من الناسخ والمنسوخ للإمام أحمد جمعاً ودراسة.

✿ تقوية الآثار الغربية بلغة العرب صحيفة الضحاك انموذجاً.

✿ البريد الإلكتروني: hamad_alroga@hotmail.com

مستخلص البحث

لقد دار هذا البحثُ حولَ تحديد معنى مصطلح (الاستفهام الإلجائي)

الوارد في القرآن، وذلك من جهتين:

♦ **الجهة الأولى:** الجهة التأصيلية؛ وذلك بتعريف المصطلح لغة واستعمالاً، وذكر أساليبه، وثمراته.

♦ **الجهة الثانية:** الجهة التطبيقية؛ حيث تم دراسة ٢٠ موضعاً من المواضع التي ذكر فيها العلماء أنَّ فيها استفهاماً إلجائياً.

وقد كان البحثُ من الأهمية بمكان من جهة حاجة الباحثين في علم التفسير إلى تحرير جميع المصطلحات الواردة في هذا العلم، وهذا المصطلح لم أجد من تحدّث عنه بالتفصيل لا في كتب علوم القرآن وأصول التفسير ولا في كتب البلاغة، فأحببتُ أن أجمع ما كتبتُ عنه في مكان واحد.

وقد كان من نتائج البحث:

◀ أن الاستفهام الإلجائي مستعملٌ من قِبَل طائفة من المفسرين ليست بالقليلة من لدن الإمام الطبري إلى عصرنا اليوم.

◀ في الاستفهام الإلجائي نوعٌ إفحام، فلاجل ذلك يجب الاهتمام به في المجادلات.

◀ من الملاحظ كثرة استخدام هذا الأسلوب في آيات سورة الأنعام التي جاءت لتقرير العقيدة الإسلامية الصحيحة.

◀ بلغت عدد المواضع المدروسة (١٨) موضعاً.

✽ **الكلمات المفتاحية:** الاستفهام، الإلجاء، الحوار القرآني.



Compulsory Question in the Qur'anic Dialogue: a Thorough Applied study

Prepared by:

Dr. Hamid bin Radi bin Muslih Ar-Rouqi

Assistant Professor at the Department of Tafsir and the
Qur'anic Sciences, the College of the Noble Qur'an, the
Islamic University of Madinah

Email: hamad_alroga@hotmail.com

Summary:

This research deals with the meaning of the term "compulsory question" in the Noble Qur'an, from two aspects:

The first detailed aspect is based on the linguistic and technical definition of the term in question, its methods and advantages.

The second applied aspect explores twenty instances of compulsory question according to the views of the scholars concerned.

The research is of paramount importance, especially because the researchers of the Science of Tafsir are badly in need of editing all the related terms. As far as I know, no one discussed this term in detail neither in the Qur'anic sciences, the Principles of Tafsir nor rhetoric. That's why I like to collect all that was written about it in this very study.

Findings of the Study:

- Compulsory question is used by a group of exegetes, from the time of Imam Al-Tabari until now.
- Compulsory question is confutative, and thus more attention should be focused on it with respect to polemics.
- It is noticeable that this method is frequently used in the verses of the chapter of Al-An'ām to establish the sound Islamic faith.
- The places studied number 18.

Key words: question, compulsion, Qur'anic dialogue.





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ أَحْمَدُهُ وَأَسْتَعِينُهُ، وَأُصَلِّيُّ وَأُسَلِّمُ عَلَى الْمَبْعُوثِ رَحْمَةً
لِلْعَالَمِينَ...

أما بعد:

فهذا بحثٌ لطيفٌ، بَحَثَ عبارةً تكررت في بعض كتب التفسير في مواطن عدة وفي كتب مختلفة، أراد أن يُبَيِّنَ حقيقتها، ومراد العلماء المستخدمين لها. وذلك أن المصطلح إذا استُخدم على طريقةٍ ومنوالٍ غير معهودين، كان لا بُدَّ من بيانه وتحريره، وتوضيحه للقارئ؛ لئلا يشكل عليهم بمصطلحات أخرى، أو بمعانٍ لغوية غير مقصودة.

والمصطلح الذي قد تكرر في مواطن من كتب التفسير هو مصطلح **(الإلجاء)** المستخدم في مواضع استُخدم فيها الاستفهام في القرآن الكريم في معرض الحوار القرآني الكريم، فكان المراد من هذا البحث القيام بدراسة هذا المصطلح من جهتين:

✧ **الجهة الأولى:** الجهة التأصيلية؛ وذلك بتعريف هذا المصطلح من الناحية اللغوية والاستعمالية، وذكر أسمائه وعلاقته ببعض المصطلحات الأخرى المستخدمة في أنواع الاستخدام، وأساليبه، وثمراته.

✧ **والجهة الثانية:** الجهة التطبيقية؛ وذلك بجمع مواضعه في القرآن الكريم، ودراسة هذه الآيات بجمع أقوال المفسرين فيها، ونحو ذلك مما يتعلق بموضوع الدراسة والبحث.



وذلك لكي لا يبقى هذا المصطلح محلّ استفهام واستشكال من الباحثين والمتخصصين والقارئین.

وقد جاء هذا البحث بعنوان **(الاستفهام الإلجائي في الحوار القرآني: دراسة تأصيلية تطبيقية)**.

أسأل الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** أَنْ يُتِمَّ بِالْخَيْرِ، وَأَنْ يَعِينَ عَلَى إِتِمَامِ الْمَرَادِ، إِنَّهُ الْقَادِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، وَبِهِ الْمُسْتَعَانَ وَعَلَيْهِ التَّكْلَانِ.

❁ موضوع البحث:

دراسة أسلوب الاستفهام الإلجائي في القرآن الكريم.

❁ مشكلة البحث:

عدم وجود البحوث الشافية حول هذا الأسلوب المستخدم في القرآن الكريم.

❁ أسئلة البحث:

❖ ما معنى الاستفهام الإلجائي؟

❖ ما مواضع استعماله؟

❖ ما ثمرات استخدامه؟

❖ ما المواضع القرآنية التي استخدم فيها هذا الأسلوب؟

❁ حدود البحث:

بلغت عدد المواضع التي تمت دراستها في هذا البحث ثمانية عشر موضعاً.

❁ مصطلحات البحث:

الاستفهام - الإلجاء - القرآن الكريم.

❁ أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

١- الاستفادة من هذا الأسلوب القرآني الذي يلجئ غير المؤمنين إلى



الإقرار بصحة المسائل الإيمانية، وبالاعتراف بما لا سبيل إلى جحده، بحسب المقام الذي خوطبوا فيه، كإقرارهم بالربوبية التي تدل على الإقرار بالألوهية، ونحو ذلك.

٢- تحرير معنى بعض المصطلحات والألفاظ المستخدمة في كتب التفسير، والذي قد لا يُتنبَّه له بسبب عدم كثرة دورانه؛ مثل مصطلح **(الإلجاء)**.

٣- عدم وجود البحوث السابقة التي تتحدث عن هذا الموضوع، فأردت إثراء المكتبة الإسلامية ورَفَدَ متخصصي التفسير بهذا البحث اللطيف.

٤- توجيه أنظار الباحثين إلى وجود مصطلحات في كتب التفسير، لا يكثر تداولها، ويقل تكرارها، وهي صالحة للبحث؛ لتحرير هذا المصطلح، ومن يستخدمه، وما المصطلحات المرادفة له... إلخ.

٥- زيادة فهمنا للقرآن الكريم، ولماذا استُخدمت هذه الأساليب في هذه المقامات، وأيضاً ليستفيد منها المسلمون في محاوراتهم مع غيرهم من أصحاب التوجهات الأخرى؛ في سبيل إقناعهم، ومحاورتهم والتي هي أحسن.

٦- بيان نوع من أنواع البلاغة المستخدمة في القرآن الكريم.

٧- لاحظَ الباحث أثناء تدريسه مقرر التفسير ورود هذا الأسلوب الاستفهامي في أكثر من موطن، مما جذبه لدراسته.

٨- أسلوب **(الاستفهام الإلجائي)** الذي لا يترك للخصم مجالاً للحجّة والبرهان؛ هو أسلوب لم يدرس كثيراً، ولم يُطبَّق على آيات الاستفهام الإلجائية في القرآن الكريم.

الدراسات السابقة:

لم أجد -بعد البحث والإطلاع- أي كتابة سابقة متخصصة في هذا الموضوع، إلا ما هو موجود في ثنايا كتب التفسير المختلفة. وقد تمت مراجعة كتب التفسير، وعلوم القرآن، ومعاني القرآن، وكتب البلاغة عمومًا.

خطة البحث:

يتكون البحث من: مقدمة، وتمهيد، ومبحثين، وخاتمة، وفهارس.

التمهيد، وفيه: التعريف بمفردات العنوان، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الاستفهام لغةً، واصطلاحًا.

المطلب الثاني: الإلجاء لغةً، واصطلاحًا.

المبحث الأول: الدراسة التأصيلية، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الاستفهام الإلجائي عند المفسرين، وأسماءه.

المطلب الثاني: أساليب الإلجاء.

المطلب الثالث: ثمرات الإلجاء.

المبحث الثاني: دراسة تطبيقية لآيات الإلجاء.

الخاتمة، وفيها أهم النتائج والتوصيات.

الفهارس، والمشملة على:

- فهرس المصادر والمراجع.

- فهرس الموضوعات.

❁ منهج البحث:

سينهج البحث نهجاً تأصيلياً لتأصيل مفهوم الاستفهام الإلجائي، ثم نهجاً استقرائياً لاستقراء جميع المواضيع وتحليلها بحسب ما يُحتاج إليه من الأدوات التي يحتاجها المفسر.

وسيتبع البحث ما يلتزم به الباحثون في العرف الأكاديمي أثناء كتابة

البحوث المحكمة، مثل:

- ◆ الالتزام بكتابة البحث بالإملاء الحديث، ومراعاة علامات التقييم.
- ◆ الالتزام بكتابة الآيات القرآنية بالرسم العثماني، وفق أحد برامج النشر المكتبية.
- ◆ الالتزام بخدمة البحث من جميع النواحي المحتاج إليها، تعليقاً، وشرحاً، وفهرسةً، ونحو ذلك.



التمهيد

التعريف بمفردات العنوان

المطلب الأول: الاستفهام لغةً واصطلاحاً.

الاستفهام لغةً :

طلب الفهم. واستفهمه: سأله أن يفهمه. واستفهمني الشيء فأفهمته وفهمته تفهيماً^(١).

والاستفهام اصطلاحاً :

إن الاستفهام في اصطلاح علماء اللغة والمفسرين داخل ضمن الإنشاء الطلبي.

ومن المعلوم أن كلام العرب ينقسم إلى قسمين: إخبار، وإنشاء.

والإنشاء نوعان: طلبي، وغير طلبي. وكلا النوعين تحته أنواع.

ويعتبر الاستفهام من أنواع الإنشاء الطلبي.

والأصل في الاستفهام أنه: طلب الإفهام والإعلام لتحصيل فائدة مجهولة

لدى المستفهم^(٢).

وقد يُقال في تعريفه: طلب خبر ما ليس عندك^(٣).

وقد يُراد بالاستفهام غير هذا المعنى الأصلي له؛ فيكون المستفهم لا

يُريد فهم شيء أو معرفة شيء لا يعلمه، وإنما يريد شيئاً آخر، ويُستدل على

المعنى الآخر المراد بالقرائن القولية أو الحالية^(٤).

(١) لسان العرب، لابن منظور (٢ / ٣٨).

(٢) البلاغة العربية، للميداني (١ / ٢٥٨).

(٣) جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، للهاشمي (ص ٧٨).

(٤) البلاغة العربية، للميداني (١ / ٢٥٨).



وفيما يلي هذه المرادات مجملة في النقاط الآتية على سبيل

الاختصار^(١)؛

١- استفهام الإنكار والنفي، كقوله سبحانه: ﴿أَفَأَنْتُ تُقَدِّمْنَ فِي النَّارِ﴾ [الزمر: ١٩]؛ أي: لست تنقذن من في النار.

٢- استفهام التقرير، ويطلب بهذا الاستفهام حمل المخاطب على الإقرار والاعتراف بأمر ما، كقوله تعالى: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ [الأعراف: ١٧٢]؛ أي: أنا ربكم. ومنه قوله سبحانه: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾ [الزمر: ٣٦]؛ أي: الله كافي جميع عباده. فليس المراد في الآيتين حقيقة السؤال، وإنما حمل العباد على الإقرار بربوبية الخالق، وكفايته لخلقه.

٣- استفهام التوبيخ، كقوله تعالى: ﴿أَنْذَعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ﴾ [الصفات: ١٢٥].

٤- استفهام التعجب، كقوله تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٨]، ونحوه قوله سبحانه: ﴿مَا لِي لَا أَرَى الْهُدَى﴾ [النمل: ٢٠].

٥- استفهام العتاب، والمراد منه معاتبة المخاطب على فعل ما، كقوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ﴾ [الحديد: ١٦]، قال ابن مسعود رضي الله عنه: ما كان بين إسلامنا وبين أن عاتبنا الله بهذه الآية إلا أربع سنين^(٢). ومنه قوله سبحانه معاتباً رسوله صلى الله عليه وسلم: ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذْنَتْ لَهْرٌ﴾ [التوبة: ٤٣].

(١) ومن أراد التوسع فليُنظر: البرهان في علوم القرآن، للزركشي (٢/ ٣٢٨)، والإتقان في علوم القرآن، للسيوطي (٣/ ٢٦٩).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب التفسير، باب قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ (٤/ ٢٣١٩، ح ٣٠٢٧).



٦- استفهام التذكير، والمراد بهذا الاستفهام تذكير المخاطب بأمر ما، نحو قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ [البقرة: ٣٣]. وعلى هذا النحو قوله سبحانه: ﴿ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ ﴾ [يوسف: ٨٩].

٧- استفهام الافتخار، كقوله تعالى: ﴿ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ ﴾ [الزخرف: ٥١]، قصد فرعون بذلك الافتخار على موسى ﷺ.

٨- استفهام التهويل والتخويف، كقوله تعالى: ﴿ الْحَاقَّةُ ١ مَا الْحَاقَّةُ ٢ ﴾ [الحاقة: ١-٣]، ومنه قوله سبحانه: ﴿ مَاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ ﴾ [يونس: ٥٠].

٩- استفهام التفضيم، وهو استفهام يراد منه تفضيم أمر ما، كقوله سبحانه: ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلْيُونَ ﴾ [المطففين: ١٩]؛ أي: ما الذي أعلمك يا محمد أي شيء عليون؟ على جهة التفضيم والتعظيم له في المنزلة الرفيعة. ومن هذا القبيل قوله سبحانه: ﴿ وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ ﴾ [الواقعة: ٢٧]؛ أي: إن شأنهم عظيم عند الله.

١٠- استفهام التكثير، كقوله تعالى: ﴿ وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِنْ نَبِيِّ فِي الْأَوَّلِينَ ﴾ [الزخرف: ٦]، والمعنى: ما أكثر ما أرسلنا من الأنبياء. وعلى هذا قوله سبحانه: ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ ﴾ [الإسراء: ١٧].

١١- استفهام التسوية بين أمرين، مثل قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [البقرة: ٦]؛ أي: إنذاركم وعدمه سواء.

١٢- استفهام الأمر والطلب، كقوله تعالى: ﴿ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْهَوُونَ ﴾ [المائدة: ٩١]؛ أي: انتهوا؛ ولهذا قال عمر رضي الله عنه: "انتهينا يا رسول الله" ^(١). ومنه قوله سبحانه: ﴿ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَسْلَمْتُمْ ﴾ [آل عمران: ٢٠]؛ أي: أسلموا.

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (ح ٣٧٨)، وأبو داود في سننه (٣ / ٤٤٤، ح ٣٦٧٠)، والنسائي في سننه (٨ / ٢٨٦)، ونقل ابن كثير في تفسيره (١ / ٤٩٩) عن ابن المديني: "هذا إسناد صالح صحيح".



١٣- استفهام التنبيه والتفكر، كقوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ ﴾ [البقرة: ٢٤٣]، والمعنى في هذا ونحوه: انظر بفكرك في هذه الأمور، وتنبه لما تحمله من دلالات وإرشادات. ومن هذا القبيل قوله سبحانه: ﴿ وَمَنْ يَرْغَبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ ﴾ [البقرة: ١٣٠].

١٤- استفهام الترغيب، وهو استفهام يراد منه الترغيب في فعل أمر ما، كقوله تعالى: ﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يقرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ﴾ [البقرة: ٢٤٥]. ومنه قوله سبحانه: ﴿ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى بَيْعَةٍ يُحْبَرُونَ ﴾ [الصف: ١٠].

١٥- استفهام النهي، كقوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَحْشَوْهُمْ ﴾ [التوبة: ١٣]؛ أي: لا تخشوا الكفار. ومنه قوله سبحانه: ﴿ مَا عَزَّكَ بِرَبِّكَ الْكَبِيرِ ﴾ [الانفطار: ٦]؛ أي: لا تغتر.

١٦- استفهام الدعاء، وهو كالنهي إلا أنه من الأدنى إلى الأعلى، كقوله تعالى: ﴿ أَتَهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا ﴾ [الأعراف: ١٥٥]؛ أي: لا تهلكنا. وجعل بعضهم من هذا القبيل قوله سبحانه: ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ ﴾ [البقرة: ٣٠]؛ أي: لا تجعل في الأرض من يفسد فيها؛ إذ هم لم يستفهموا؛ لأن الله سبحانه قال: ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾.

١٧- استفهام التمني، كقوله تعالى: ﴿ فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا ﴾ [الأعراف: ٥٣]. ومنه قوله سبحانه: ﴿ مُنْظَرُونَ ﴾ [الشعراء: ٢٠٣]، فهذا منهم على جهة التمني والرغبة حيث لا تنفع الرغبة.

١٨- استفهام الاستبطاء، كقوله تعالى: ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [يونس: ٤٨]، بدليل قوله تعالى: ﴿ وَاسْتَعْجِلُونَا بِالْعَذَابِ ﴾ [الحج: ٤٧]، وقوله: ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ ﴾ [الإسراء: ٥١]. ومنه قوله سبحانه: ﴿ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلاَّ إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ ﴾ [البقرة: ٢١٤].



١٩- استفهام التحضيض، بمعنى الحض على فعل ما، كقوله تعالى: ﴿الرَّيَعَلْمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٤]، والمراد: التحضيض على التوبة والصدقة والترغيب فيهما. ونحو ذلك قوله سبحانه: ﴿الْأَنْبِيَاءُ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ﴾ [النور: ٢٢].

٢٠- استفهام التجاهل، كقوله تعالى: ﴿قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ﴾ [الفرقان: ٦٠]، قالوا ذلك على سبيل التجاهل والوقاحة. ومنه قوله سبحانه: ﴿هَلْ نَدْكُمُ عَلَى رَجُلٍ يَنْتَضِكُمْ إِذَا مَرَّ فَمِنْكُمْ كُلٌّ مَمْزُقٍ﴾ [سبأ: ٧]، يعنون به النبي ﷺ، والتعبير عنه ﷺ بذلك من باب التجاهل.

٢١- استفهام التحقير، كقوله تعالى: ﴿أَمْ اتَّخَذُوا آلَ اللَّهِ مِنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنْشِرُونَ﴾ [الأنبياء: ٢١]، فالمراد من الاستفهام هنا تحقير هذه الآلهة. ونحو هذا قوله سبحانه: ﴿إِذْ قَالَ لِأَيُّهَا قَوْمِي مَا تَعْبُدُونَ﴾ [الشعراء: ٧٠]، استفهام بمعنى التحقير.

٢٢- استفهام الاستبعاد، كقوله سبحانه: ﴿أَوَءَابَاؤُنَا الْأَوْلُونَ﴾ [الصفات: ١٧]، والمعنى: أيبعث أيضا آباؤنا؟ على زيادة الاستبعاد، يعنون أنهم أقدم، فبعثهم أبعدهم وأبطل؛ ونحوه كقوله تعالى: ﴿أَمْ ذَاكُمُ الَّذِينَ تَرَبَّيْنَا أَتْنَا لِنَفِي خَلَقْتُمْ جَدِيدٍ﴾ [الرعد: ٥].

٢٣- استفهام التهكم والاستهزاء، كقوله تعالى: ﴿قَالُوا يَنْشَعِبُ أَسْلُوتَاكَ تَأْمُرُكَ﴾ [هود: ٨٧]، قالوا له ذلك على سبيل التهكم. ومنه قوله سبحانه: ﴿عَلَّمْتُمْ عِلْمًا أَمْ اللَّهُ﴾ [البقرة: ١٤٠]، إذ لا مشاركة بينهم وبين الله في العلم حتى يسأل: أهم أزيد علمًا أم الله؟ ولكن ذلك على سبيل التهكم بهم والاستهزاء.

٢٤- استفهام الإخبار، كقوله تعالى: ﴿أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمْ آرْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَخْرِجَهُنَّ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَسُولُهُ﴾ [النور: ٥٠]، فالآية تخبر عن المنافقين، وأن أمرهم لا يخرج عن أن يكون في قلوبهم مرض لازم لها، أو قد عرض لها شك في الدين، أو يخافون



أن يجور الله ورسوله عليهم في الحكم. ومن هذا القبيل قوله سبحانه: ﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ ﴾ [الغاشية: ١].

ومن المهم أن تعلم أن المفسرين قد يختلفون في بعض مواضع الاستفهام فيرجح بعضهم معنى، ويرجح آخر معنى غيره؛ لدليل يصلح لهذا الترجيح. ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿ وَمَا تَلَّاكَ يَمِينُكَ يَمْوَسَى ﴾ [طه: ١٧]، فقد حمل كثير من المفسرين الاستفهام هنا على أنه للتقرير، وحمله ابن عاشور على أنه للتنبية^(١)، فتأمل، ولا يفوتك هذا.

✿ المطلب الثاني: الإلجاء لغة واصطلاحاً.

□ الإلجاء لغة:

مأخوذ من يلجأ: يعوذ، وفعله لجأ ولجى يلجأ، والتجأ، وألجأه إلى الشيء: اضطره، وألجأه: عصمه، والملجأ: المعاذ، وجمعه: ألجاء^(٢).

فالإلجاء يأتي لثلاثة معان:

✓ **المعنى الأول:** معنى الاضطرار إلى الشيء والقسر والتضييق والحاجة إليه، وهو المعنى الأشهر، والنصوص عن العلماء كثيرة في هذا المعنى، أذكر منها ما يلي:

قال الخليل: "ألجانا الأمر إلى كذا؛ أي: اضطرني إليه"^(٣).

(١) وممن حمّله على التقرير: الماتريدي في تأويلات أهل السنة (٢ / ٢٤٨)، والسمرقندي في بحر العلوم (٢ / ٣٩٢)، ومكي في الهداية (٧ / ٤٦٢٥) وغيرهم. وانظر كلام ابن عاشور في: التحرير والتنوير (١٦ / ٢٠٧).

(٢) إيضاح شواهد الإيضاح، للقيسي (١ / ٥٥١).

(٣) العين، للفراهيدي (٦ / ١٧٨). وانظر أيضًا: إيضاح شواهد الإيضاح، للقيسي (١ / ٥٥١)، وتهذيب اللغة، للأزهري (١١ / ١٣١)، والتلخيص في معرفة أسماء الأشياء، للعسكري (١ / ١١٥)، ومختار الصحاح، للرازي (ص ٢٧٩).



وقال الزبيدي: "ألجأه إلى كذا: اضطره إليه وأحوجه"^(١).

فعلى هذا يكون الإلجاء عكس الاختيار^(٢).

✓ والمعنى الثاني: إسناد الأمر إلى الغير.

جاء في المعجم الوسيط: "ألجأ أمره إلى الله: أسنده وفوضه"^(٣).

وجاء في القاموس الفقهي: "ألجأ أمره إلى الله: أسنده"^(٤).

✓ والمعنى الثالث: حماية الشخص.

جاء في المعجم الوسيط: "ألجأ الشخص: حماه من مكروه"^(٥).

□ الإلجاء اصطلاحاً:

قبل أن نبيّن معنى (الاستفهام الإلجائي) لا بدّ أن يتضح لنا معنى الإلجاء في اصطلاح علماء أصول الدين والفقهاء والمفسرين؛ حيث إن مصطلح الإلجاء يستخدم في هذه العلوم على معنيين، لا بدّ من تبيينهما لأنّ معنى (الاستفهام الإلجائي) يرجع إلى أحد هذين المعنيين فقط.

أما المعنى الاصطلاحي الأول: فهو الإكراه والقسر.

قال ابن العربي في تفسير بعضهم: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾

[الإنسان: ٣٠]: "ومنهم من قال: إن معناه: إلا أن يشاء الله إلجائي إليه، وهذا فاسد؛ فإن الله لو ألجأه إليه لم يتصوّر التكليف فيه بالإلزام؛ لأن الإكراه على فعل الشيء مع الأمر به عندهم محال، فلا وجه لقولهم بحال"^(٦).

(١) تاج العروس، للزبيدي (١ / ٤١٩).

(٢) مقالات الإسلاميين، للأشعري (ص ٥٤٤).

(٣) المعجم الوسيط (٢ / ٨١٥).

(٤) القاموس الفقهي، لأبو حبيب (١ / ٣٢٨).

(٥) المعجم الوسيط (٢ / ٨١٥).

(٦) أحكام القرآن، لابن العربي (٣ / ٢٣١).



ويقول **الصرصري**: "لا يعني بالإلجاء إلا: اضطراره إلى الفعل على وجه لا يمكنه التخلص منه"^(١).

ومنه قول **الشهاب**: "جعلوا الإرادة قسمين: إلجائية قسرية، وغيرها"^(٢).
فالإلجاء ضرورة تنافي الإرادة والمشية، كما قال ابن عاشور: "ولا حاجة بنا إلى الخوض في مسألة التكليف الإلجائي، ومنافاة الإلجاء للتكليف"^(٣).

وأما المعنى الاصطلاحي الثاني: فهو عدم وجود مجال لصاحب القلب والعقل السليمين إلا بأن يتجه إلى اختيار خيار واحد في المسألة التي أُلجئَ فيها. ومنه ما يذكره العلماء من أن الإيمان بأمر الغيب ليس إيماناً ضرورياً ملجئاً، بعكس ما لو رأى الإنسان الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** أو رأى الملائكة، أو عاين ذلك عند الموت، فإنه يصبح الإيمان إلجائياً ضرورياً.

فليس المقصود من ذلك أن الإنسان يُضْرَب أو يهدد حتى يؤمن، لا... بل المقصود هنا أنه لا يجد قلبه وعقله مفراً وطريقاً لعدم الإيمان، وذلك لمشاهدته الأمر بعينه وإحساسه له بحواسه.

قال ابن العربي: "الإيمان في الدنيا نظري؛ لأن الدلائل الدالة عليه نظرية، إذ لو أظهرها الله تعالى الظهور البين لصارت ضرورية، فيكون الإيمان إلجائياً ضرورياً"^(٤).

وقال صاحب التنوير: "وإنما لم يقبل التوبة عند الغرغرة لأنها توبة

(١) الانتصارات الإسلامية في كشف شبه النصرانية، للطوفي (١/ ٤٦٨).

(٢) عناية القاضي وكفاية الراضي، للشهاب (٥/ ١٤٨).

(٣) التحرير والتنوير، لابن عاشور (١/ ٥٤٢).

(٤) انظر: نكت وتنبهات في تفسير القرآن المجيد، للبسيلي (٣/ ٥٨٥).



إلجاء؛ فقد شاهد هول المطمع ورأى الملائكة: ﴿يَوْمَ يَرُونَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ﴾ [الفرقان: ٢٢] ^(١). وهذا ليس إلجاءً قسرياً لا يمكن التخلص منه؛ فإن إبليس قد رأى من ذلك شيئاً وعرفه ومع ذلك لم يؤمن.

ولأجل ذلك يقول الألويسي: "سنة الله تعالى تكليف الناس بالإيمان من دون إلجاء" ^(٢).

وقال القاضي صدر الدين مؤهوب الجزري: "البارئ - جَلَّتْ قَدْرَتُهُ - له أساليبٌ مختلفة على مجاري تصريف أقداره؛ فإنه كان قادراً على إلجاء المشركين إلى الإقرار بنبوة محمد ﷺ، قال تعالى: ﴿إِنْ شَأْ نُزِّلَ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةٌ فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ﴾ [الشعراء: ٤]، ولكنه سبحانه أرسل رسوله على أساليب الأسباب والمُسَبِّباتِ وجاري العوائد الواقعة من أهل الزمان" ^(٣).

وقال الشيخ الشعراوي: "كذلك يقول الحق في موضع آخر بالقرآن الكريم: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَٰهًا فَلَمَّا نَجَّكَ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا﴾ [الإسراء: ٦٧]، ذلك أنه عندما يصاب الإنسان بحادث جسيم فهو لا يكذب على نفسه، حتى الكافر بالله عندما يجد أن كل الأسباب المادية التي أمامه لا تنفعه فهو يلجأ ويعترف بأن هناك إلهاً واحداً خالقاً، فيقول: يارب" ^(٤). وقد جاءت الشريعة بأنواع مُلَجِّجَةٍ للناس إلى الاعتراف بالحق من المعنى الإلجائي بمعناه الاصطلاحي الثاني؛ فمن ذلك المباهلة، يقول ابن عاشور: "وهذا الدعاء إلى المباهلة إلجاء لهم إلى أن يعترفوا بالحق أو يكفوا" ^(٥).

(١) التنوير شرح الجامع الصغير، للصنعاني (٣/ ٤٠٦).

(٢) روح المعاني، للألويسي (١٠/ ٦١).

(٣) البرهان في علوم القرآن، للزركشي (٢/ ١٢٢).

(٤) تفسير الشعراوي (٤/ ١٩٥٢).

(٥) التحرير والتنوير، لابن عاشور (٣/ ٢٦٥).



ومن ذلك ما يشاهده الناس قبل يوم القيامة من علامات الساعة؛ قال ابن عاشور في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾ [النمل: ٨٢]: "وجملة: ﴿أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾ تَعْلِيلٌ لإظهار هذا الخارق للعادة؛ حيث لم يُوقِنِ المشركون بآيات القرآن، فجعل ذلك إلقاء لهم حين لا يَنْفَعُهُمْ" (١).

ومن ذلك تسليط العذاب عليهم؛ كما في قوله تعالى: ﴿وَأَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ﴾؛ أي: العذاب الدنيوي مما يلجئ إلى الرجوع، ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الزخرف: ٤٨]، فسَلَّطَ اللهُ عليهم العذاب الدنيوي إلقاءً لهم إلى الرجوع وإلى التوبة.

ومن ذلك إلزامهم بتمني الموت، كما في قوله تعالى: ﴿إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الجمعة: ٦]، والمعنى: إن كنتم صادقين في زعمكم فتمنوا الموت. وهذا إلقاء لهم حتى يلزمهم ثبوت شكهم فيما زعموه (٢).

وإذا ما استمعنا لنستمع إلى ما يقوله الطاهر بن عاشور في آيات إحياء الأرض وحيثية استعمال (مِن) في آية العنكبوت وجدناه يلمس هذا المعنى البلاغي فيقول: "ولما كان سياق الكلام هنا في مساق التقرير كان المقام مقتضياً للتأكيد بزيادة ﴿مِن﴾ في قوله: ﴿مِن بَعْدِ مَوْتِهَا﴾ [العنكبوت: ٦٣] إلقاءً لهم إلى الإقرار بأنَّ فاعل ذلك هو الله دون أصنامهم، فلذلك لم يكن مقتضى لزيادة ﴿مِن﴾ في آية البقرة، وفي آية الجاثية: ﴿فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ [البقرة: ١٦٤، والجاثية: ٥] (٣).

(١) التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢٠ / ٣٩).

(٢) انظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢٨ / ٢١٦).

(٣) التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢١ / ٢٩).



بل إنَّ بني إسرائيل استخدموا هذا النوع من الإلجاء مع موسى عليه السلام؛ وذلك كما ذكره عنهم عليهم السلام في قوله تعالى: ﴿لَنْ نَصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاجِدٍ﴾ [البقرة: ٦١]، فإنَّ ﴿لَنْ﴾ تدلُّ على استغراق النفي لأزمة فعل ﴿نَصَبَرٌ﴾ من أولها إلى آخرها، وهو معنى التأييد، وفي ذلك إلجاء لموسى أن يُبادر بالسؤال، يظنون أنَّهم أيأسوه من قبول المنِّ والسَّلوى بعد ذلك الحين^(١).

والإكراه في اصطلاح فقهاء الحنفية قالوا: "الإكراه قسمان: مُلجئٌ،

وغير ملجئ.

فأمَّا الملجئ فهو الذي يكون بالتهديد بإتلاف النفس أو عضو منها، أو بإتلاف جميع المال، أو بقتل مَنْ يهْمُ الإنسان أمره. قالوا: وهذا النوع من الإكراه يعدم الرضا ويفسد الاختيار دون أن يُعَدِّمَهُ.

وأما الإكراه غير الملجئ فهو الذي يكون بما لا يُفَوِّتُ النفس أو بعض الأعضاء، كالحبس لمدة قصيرة والضرب الذي لا يخشى معه الموت أو تلف شيء من الأعضاء. قالوا: وهذا النوع من الإكراه يُعَدِّمُ الرضا؛ لكنه لا يفسد الاختيار، لعدم اضطرار المكره إلى إتيان ما أكره عليه لتمكنه من الصبر على تحمل ما هُدِّدَ به، بخلاف القسم الأول^(٢).

وقد بيَّن الراغبُ الأصفهانيُّ نوعي الإلجاء غاية البيان بل وزاد عليهما ثالثاً في كلام طويل نقلته لتوضيح المعنى هنا غاية الإيضاح، حيث يقول: "ما يستحق به من الأفعال اللوم وما لا يستحق به ذلك الأفعال ضربان: إرادي، وغير إرادي.

(١) انظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور (١/ ٥٢١).

(٢) المصباح المنير، للفيومي (٢/ ٦٦٦)، والمبسوط، للسرخسي (٢٤/ ٤٨)، ورد المحتار، لابن عابدين (٥/ ٨٠).



والإرادي ضربان: ضرب عن روية، وضرب لا عن روية.

فالذي عن روية ضربان؛ أحدهما: الذي عن روية تظن في غاية الشرف، وهو ما يكون بحسب النفس الناطقة، ويسمى الاختيار، وهو طلب ما هو خير له، ويستحق به أبداً الحمد إذا كان على الحقيقة اختياراً.

والثاني: عن روية فيما ليس هو في غاية الشرف، وذلك إما بحسب القوة الغضبية: وهو دفع ما يضره، وإما بحسب القوة الشهوية. وكل منهما إذا كان بقدر ما يوجه العقل يستحق به الحمد، وإذا كان زائداً أو ناقصاً عما يوجه العقل يستحق به الذم.

والإرادي الذي عن غير روية واختيار ضربان:

أحدهما: ما يفعله في نفسه. **والثاني:** ما يفعله بغيره.

وكل واحد منهما ضربان: نفع وضر. فما قصد به نفع نفسه فقد يستحق به الحمد، وما قصد به نفع غيره فقد يستحق به الحمد والشكر معاً، وما قصد به ضر نفسه فقد يستحق به الذم، وما قصد به ضر غيره فقد يستحق به الذم والعتب عليه.

وغير الإرادي ثلاثة أضرب:

الضرب الأول: أن يكون قسرياً، وهو: ما يكون مبدؤه من خارج ولا يكون من أربابه معونة بوجه، كمن دفعته ريح فسقط على آنية فكسرها، فلا ملامة فيه بوجه.

والثاني: أن يكون إجماعاً كمن أكرهه سلطان على أن يفعل فعلاً ما، وهذا متى كان الملجأ إليه قبيحاً جداً، والسبب الملجئ إليه خفيفاً، يستحق مرتكبه الذم، كمن يضرب ليقتل إنساناً. ومتى كان الملجأ إليه ليس بجد قبيح،



والسبب الملجئ إليه عظيمًا، لا يستحق مرتكبه الدم، كمن يوضع على حلقه السيف ويهدد أن يقتل إن لم يتكلم بكلام قبيح، وكلاهما يقال له: إكراه. والثالث: الخطأ، وهو ما يكون مبدؤه من صاحبه" (١).

وأما الإلجاء في الاستفهام فهو أن يضطرَّ المسؤول إلى إجابة معينة على وجه لا يمكن التخلص منه.

فيتين مما سبق أن الإلجاء في هذا المقام ليس إلجاءً حسياً يُدفع الناس إليه دفعا لا يجدون محيصاً عنه، وإنما هو إلجاء معنوي عقلي، **فهو من معنى الإلجاء الاصطلاحي الثاني**؛ حيث إن السامع والمسؤول لو فكّر في إجابة سؤال السائل كما وجد غير هذه الإجابة إن كان يُفكّر بطريقة سليمة بعيدة عن الهوى والتعصب، وإلا فيمكن للقائل عنادًا أن يجيب عن السؤال والاستفهام الإلجائي بما يخالف العقل والواقع.

وخلاصة القول: أن الإلجاء في هذا المقام يُضعف الاختيار ويُعدم الرضا، ولكنه لا يُعدم الاختيار. ويدل على ذلك ما دلّت عليه بعض الآيات التي استخدم فيها الاستفهام الإلجائي من أنهم أرادوا ألا يُفروا بالجواب، قال الألوسي: "وقوله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿قُلْ لِلَّهِ﴾** [الأنعام: ١٢] تقرير للجواب نيابة عنهم، أو إلجاء لهم إلى الإقرار بأن الكل له **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، وفيه إشارة إلى أن الجواب قد بلغ من الظهور إلى حيث لا يقدر على إنكاره منكر، ولا على دفعه دافع، فإن أمر السائل بالجواب إنما يحسن - كما قال الإمام (٢) - في موضع يكون فيه الجواب كذلك، قيل: وفيه إشارة إلى أنهم تناقلوا في الجواب مع تعينه" (٣).

(١) الذريعة إلى مكارم الشريعة، للراغب الأصفهاني (ص ٢٩٦).

(٢) المقصود بالإمام هو الرازي، وانظر قوله في: مفاتيح الغيب (١٢ / ٤٨٨).

(٣) روح المعاني، للألوسي (٤ / ٩٨).



المبحث الأول الدراسة التأصيلية

✽ المطلب الأول: الاستفهام الإلجائي عند المفسرين، وأسماءه.

لما كان مصطلح (الاستفهام الإلجائي) ليس بالمصطلح الرائج الشائع، أحببتُ أن أذكر جملةً من المفسرين ممن ذكروا هذا الاستفهام؛ فقد ذكر هذا النوع من الاستفهام مجموعةً من المفسرين، وإن اختلفت عباراتهم في وصفه واسمه. وسأذكر العلماء الذين ذكروا عنهم الاستفهام الإلجائي بطريقة صريحة، وأمّا ما أشار إلى معنى الإلجاء بحيث لا يُفهم إلا بالنظر والتأمل فقد أوردتُ كلامه في قسم التطبيق.

☑ أولاً: الحسن البصري:

عن ابن جرير قال: حدثنا بشر بن معاذ، قال: حدثنا يزيد بن زريع، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قال: كان الحسن يقول في قوله: ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ﴾ [الكهف: ٥٠] إلجاءً إلى نسيبه؛ فقال الله: ﴿أَفَتَخَذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي﴾ [الكهف: ٥٠] الآية، وهم يتوالدون كما يتوالد بنو آدم^(١).

فهنا نلاحظ أن الاستفهام الوارد في قوله: ﴿أَفَتَخَذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي﴾ فيه إلجاء للمستفهم منه إلى الاعتراف بكونه أخطأ في اتخاذ إبليس وذريته أولياء من دون الله، كون إبليس - عليه لعنة الله - كان من الجن.

☑ ثانياً: الطيبي (ت٧٤٣هـ):

قال: "و﴿قُلْ لِلَّهِ﴾ [الأنعام: ١٢] تقرير، قيل: أي إلجاء إلى الإقرار.

(١) جامع البيان، للطبري (١/ ٥٤٠).



الجوهري: تقرير الإنسان بالشيء: حملة على الإقرار به. والأولى أن يكون من تقرير الشيء: إذا جعل في مكانه. الجوهري: قررت عنده الخبر حتى استقر. أي: قرر الجواب لأجلهم، فكأن قوله قولهم، لأنه لا خلاف بينه وبينهم^(١).

✓ ثالثاً: السيوطي (ت ٩١١هـ):

قال السيوطي: "قال الطيبي: يعني إذا سئلوا عن قوله تعالى: ﴿قُلْ لِمَنْ مَافِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾؟ [الأنعام: ١٢]، لا محيد لهم إلا أن يقولوا: الله، ﴿وَلِئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [لقمان: ٢٥]. اهـ. قوله: (تقرير لهم). قال الشيخ سعد الدين: أي: إلباء إلى الإقرار بأن الكل لله، لأن هذا من الظهور بحيث لا يقدر أحد أن ينكره^(٢).

✓ رابعاً: أبو السعود (ت ٩٨٢هـ):

قال أبو السعود: "قوله تعالى: ﴿فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ﴾ [الأنعام: ٨١] ناطق ببطلانه حتماً فإنه كلام مرتب على إنكار خوفه - عليه الصلاة والسلام - في محل الأمن مع تحقق عدم خوفهم في محل الخوف مسوقاً لإلجائهم إلى الاعتراف باستحقاقه - عليه الصلاة والسلام - لما هو عليه من الأمن وعدم استحقاقهم لما هم عليه، وإنما جيء بصيغة التفضيل المشعرة باستحقاقهم له في الجملة لاستنزاهم عن رتبة المكابرة والاعتساف بسوق الكلام على سنن الإنصاف، والمراد بالفريقين: الفريق الآمن في محل الأمن، والفريق الآمن في محل الخوف، فإثارة ما عليه النظم الكريم على أن يقال: فأينا أحق بالأمن أنا أم أنتم؛ لتأكيد الإلباء إلى الجواب الحق بالتنبيه على علة الحكم

(١) فتوح الغيب، للطبي (٦/ ٣٢).

(٢) نواهد الأبيكار، للسيوطي (٣/ ٣٣٧).



والتفادي عن التصريح بتخطئتهم لا لمجرد الاحتراز عن تزكية النفس، ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ المفعول إما محذوفٌ تعويلاً على ظهوره بمعونه المقام؛ أي: إن كنتم تعملون من أحقّ بذلك، أو قصداً إلى التعميم؛ أي: إن كنتم تعلمون شيئاً، وإما متروكٌ بالمرّة؛ أي: إن كنتم من أولي العلم، وجوابُ الشرطِ محذوفٌ؛ أي: فأخبروني، ﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [الأنعام: ٨٢] استئنافٌ من جهته تعالى للجواب الحقّ الذي لا محيد عنه^(١).

☑ خامساً: شهاب الدين الخفاجي (ت ١٠٦٩هـ):

قال شهاب الدين الخفاجي: "قوله: (وهو سؤال تبكيت) في الأساس: بكته بالحجة غلبه وألزمه ما سكت به لعجزه عن الجواب عنه، والمقصود: أنه تقرير لهم وتوبيخ. قوله: (تقرير لهم) التقرير له معنيان: الحمل على الإقرار، والتثيت بأن يجعله قاراً متمكناً، ومنه تقرير المسألة، وكلاهما مما نطقت به كتب اللغة كما ذكره الطيبي رَحِمَهُ اللهُ. ومعناه على الثاني: أنه تقرير للجواب لأجلهم؛ أي: نيابة عنهم كما في الكشاف، وعلى الأول إلقاء الإقرار بأن الكل له، لأن هذا من الظهور بحيث لا يقدر على إنكاره أحد كما قاله النحرير^(٢) (٣)".

☑ سادساً: إسماعيل حقي (ت ١١٢٧هـ):

قال: "﴿قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ﴾ [الأنعام: ١٢] إلقاء لأهل مكة إلى الإقرار بأن الكل من العقلاء وغيرهم لله خلقاً وملكاً وتصرفاً، كأنه يقول:

(١) إرشاد العقل السليم، لأبي السعود (٣/ ١٥٦).

(٢) المقصود به سعد الدين التفتازاني؛ لأن الشهاب قال في الحاشية (٤/ ١٠١): "فقال النحرير في شرح المفتاح". وكذلك في (٤/ ١٦٥).

(٣) حاشية الشهاب على البيضاوي (٤/ ٢٧).



هل لكم سبيل إلى عدم الإقرار بذلك، مع كونه من الظهور بحيث لا يقدر أحد على إنكاره" (١).

وقال: ﴿ **أَيْنَكُمْ لَتَشْهَدُونَ** ﴾ [الأنعام: ١٩] إجماع لهم إلى الإقرار بإشراكهم؛ إذ لا سبيل لهم إلى إنكاره لاشتهارهم به" (٢).

☑ **سابعاً: محمد رشيد رضا (ت ١٣٥٤هـ):**

قال: ﴿ **قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ** ﴾ [الأنعام: ١٢]؛ أي: قل أيها الرسول لقومك الجاحدين لرسالتك المعرضين عما جنتهم به من أمر التوحيد والبعث والجزاء: لمن هذه المخلوقات في العالم كله علويّه وسفليّه؟ السؤال تمهيد لحجة جديدة، وقد بيّنّا في تفسير الآيات السابقة أنّ العرب كانت تؤمن بأنّ الله تعالى هو خالق السماوات والأرض، وأنّ كلّ ما فيهما ومن فيهما ملك وعبيد له، ولفظ ﴿ **مَا** ﴾ يشمل العقلاء مع غيرهم، وجزم في الكشف (٣) بأنّ السؤال للتبكيّة، وأنّ قوله تعالى: ﴿ **قُلْ لِلَّهِ** ﴾ تقرير لهم؛ أي: هو الله لا خلاف بيني وبينكم في ذلك، ولا تقدرون أن تضيفوا شيئاً منه إلى غيره. وقال غيره: تقرير للجواب نيابة عنهم، أو إجماع لهم إلى الإقرار، وقال الرازي: أمره بالسؤال أولاً، ثمّ بالجواب ثانياً (٤). وهذا إنّما يحسن في الموضع الذي يكون الجواب فيه قد بلغ في الظهور إلى حيث لا يقدر على إنكاره منكر ولا يقدر على دفعه دافع" (٥).

(١) روح البيان، للقنوجي (٣ / ١٣).

(٢) روح البيان، للقنوجي (٣ / ١٧).

(٣) الكشف، للزمخشري (٢ / ٨).

(٤) مفاتيح الغيب، للرازي (١٢ / ٤٨٩).

(٥) تفسير المنار، لمحمد رشيد رضا (٧ / ٢٧١).



وقال: "﴿ فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ ﴾ [الأنعام: ٨١] هي بيان أن هذه المقابلة عامّة لكلِّ مَوْحِدٍ ومُشْرِكٍ، مِنْ حَيْثُ إِنَّ أَحَدَ الْفَرِيقَيْنِ مَوْحِدٌ وَالْآخَرُ مُشْرِكٌ، لَا خَاصَّةَ بِهِ وَبِهِمْ، فَهِيَ مُتَضَمِّنَةٌ لِعِلَّةِ الْأَمْنِ. وَقِيلَ: إِنَّ نُكْتَتَهُ الْإِحْتِرَازُ عَنِ تَزْكِيَةِ النَّفْسِ، وَاسْمُ التَّفْضِيلِ عَلَى غَيْرِ بَابِهِ، فَالْمُرَادُ أَيُّنَا الْحَقِيقُ بِالْأَمْنِ، وَلَكِنَّهُ عَبَّرَ بِاسْمِ التَّفْضِيلِ نَاطِقًا فِي اسْتِزْرَافِهِمْ عَنِ مُتَهَيِّئِ الْبَاطِلِ - وَهُوَ ادِّعَاؤُهُمْ أَنَّهُمْ هُمُ الْحَقِيقُونَ بِالْأَمْنِ، وَأَنَّهُ هُوَ الْحَقِيقُ بِالْخَوْفِ - إِلَى الْوَسْطِ النَّظَرِيِّ بَيْنَ الْأَمْرَيْنِ، وَهُوَ أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ، وَاحْتِرَازًا عَنِ تَنْفِيرِهِمْ مِنَ الْإِصْغَاءِ إِلَى قَوْلِهِ كُلَّهُ، ثُمَّ قَالَ: ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾؛ أَي: أَيُّهُمَا أَحَقُّ بِالْأَمْنِ - أَوْ إِنْ كُنْتُمْ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالبصيرة في هذا الأمر - فأخبروني بذلك، وبَيَّنُّوهُ بِالذَّلَائِلِ، وَهَذَا الْإِجَاءُ إِلَى الْاعْتِرَافِ بِالْحَقِّ أَوْ السُّكُوتِ عَلَى الْحَمَاقَةِ وَالْجَهْلِ" (١).

☑ ثامناً: الألوسي (ت ١٣٧٠هـ):

قال: "وقوله **سُبْحَانَكَ وَتَعَالَى**: ﴿قُلْ لِلَّهِ﴾ [الأنعام: ١٩] تقرير للجواب نيابة عنهم، أو إلقاء لهم إلى الإقرار بأن الكل له **سُبْحَانَكَ وَتَعَالَى**، وفيه إشارة إلى أن الجواب قد بلغ من الظهور إلى حيث لا يقدر على إنكاره منكر، ولا على دفعه دافع، فإن أمر السائل بالجواب إنما يحسن - كما قال الإمام - في موضع يكون فيه الجواب كذلك، قيل: وفيه إشارة إلى أنهم تناقلوا في الجواب مع تعيينه لكونهم محجوجين" (٢).

☑ تاسعاً: المراغي (ت ١٣٧١هـ):

قال المراغي: "﴿ قُلْ لِمَنْ مَافِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ [الأنعام: ١٢]؛ أَي: قل أيها

(١) تفسير المنار، لمحمد رشيد رضا (٧ / ٤٨٢).

(٢) روح المعاني، للألوسي (٤ / ٩٨).



الرسول لقومك الجاحدين لرسالتك المعرضين عن دعوتك: لمن هذه المخلوقات علويها وسفليها؟

قد كانت العرب تؤمن بأن الله خالق السموات والأرض، وأن كل ما فيهما ملك وعبيد له، كما قال تعالى: ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَن خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [لقمان: ٢٥].

والمقصود من السؤال التبكيت والتوبيخ.

﴿قُلْ لِلَّهِ﴾ هذا تقرير للجواب نيابة عنهم، أو إلقاء لهمم إلى الإقرار بأن الكل له سبحانه ولا خلاف بيني وبينكم في ذلك ولا تقدر أن تضيفوا شيئاً آخر إليه" (١).

وقال: ﴿فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ﴾ [الأنعام: ٨١]، الفريقان: فريق الموحدين الذين يعبدون الله وحده ويخافونه ويرجونه دون غيره، وفريق المشركين الذين استكبروا تأثير بعض الأسباب فاتخذوا ما اتخذوا من الآلهة والأرباب، ونسبوا إلى بعضها النفع والضرر كالشمس والقمر والملائكة - أي فأَيُّ هذين الفريقين أحق وأجدر بالأمن على نفسه من عاقبة عقيدته وعبادته.

ونكتة التعبير بـ ﴿فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ﴾ دون أن يقول: فأينا أحق بالأمن؛ الإشارة إلى أن هذه المقابلة عامة لكل موحد ومشرك، لا خاصة به وبهم، والبعد عن التصريح بخطئهم الذي ربما يدعو إلى اللجاج والعناد، والاحتراس من تنفيرهم من الإصغاء إلى قوله: ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾؛ أي: إن كنتم من أهل العلم والبصيرة في هذا الأمر فأخبروني بذلك وبينوه بالأدلة، وفي هذا إلقاء لهمم إلى الاعتراف بالحق، أو السكوت على الحقيق والجهل" (٢).

(١) تفسير المراغي (٧ / ٨٦).

(٢) تفسير المراغي (٧ / ١٧٨).



❑ عاشرًا: عبد الكريم الخطيب (ت بعد ١٣٩٠هـ):

قال: "قوله تعالى: ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَن خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لِيَقُولَنَّ اللَّهُ فَإِنَّ يُوَفِّكُونَ﴾ [العنكبوت: ٦١].

بعد هذه الوقفة مع هؤلاء المؤمنين الذين حملهم المشركون على الهجرة من أوطانهم، بما أخذوهم به من بأساء وضراء - عادت الآيات لتلقي المشركين بقذائفها المدمرة، التي تدكُّ بها حصون الشرك، وتهدم قلاعهم، بحجتها الدامغة، وبيانها المبين...

فالمشركون هنا، في مواجهة سؤال، هو: ﴿مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ﴾؟

وإنه لا يجرؤ أحد منهم أن يجيب بأن آلهتهم تلك الجاثمة على الأرض هي التي خلقت السموات والأرض، وأنها هي التي سخرت الشمس والقمر... فمن إذن الذي خلق؟ ومن الذي سخر؟ جواب واحد، هو الله الذي خلق السموات والأرض وسخر الشمس والقمر... إنهم لا ينكرون هذا، ولا سبيل لهم إلى إنكاره.. وإذن فكيف يصرفون وجوههم عن الله، ويقبلون على هذه الدمي يعبدونها من دونه؟ أليس هذا سفهًا وضلالًا؟ وبلى إنه السفه والضللال والضياح أيضًا.

وقوله تعالى: ﴿فَأِنَّ يُوَفِّكُونَ﴾ هو تعقيب على هذا السؤال، وعلى الجواب الذي أجابوا به نطقًا، أو إجماعًا، وإلزامًا، إذ لا جواب لهم غيره! ﴿لِيَقُولَنَّ اللَّهُ﴾^(١). وقال: "قوله تعالى: ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَن نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لِيَقُولَنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٣].

(١) التفسير القرآني للقرآن، للخطيب (١١ / ٤٦٤).



وهذا سؤال آخر يسأله المشركون: ﴿مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ

مَوْتِهَا؟﴾ فما جوابهم على هذا؟

لقد أقروا - طوعاً أو كرهاً - أن الله هو الذي خلق السموات والأرض وسخر الشمس والقمر.. إذ كان ذلك أمراً لا يمكن المجادلة فيه، ولا يجد معه أيّ عقل - مهما لجّ في الضلال والعناد - سبيلاً إلى المماراة، والتمحك.. وعلى هذا، فإنه وقد سلّم بأن الله هو الذي خلق السموات والأرض وسخر الشمس والقمر، لا بد أن يسلم بأنه سبحانه هو الذي يملك كل ما في السموات وما في الأرض، وأنه هو سبحانه الذي يصرف كل شيء فيهما..

فما ينزل من السماء من ماء، فهو من أمر الله، ومن قدرته، وتدبيره.. وما يحدث هذا الماء من آثار في الأرض، فهو من أمر الله، ومن قدرته، وتدبيره.. وإذن، فلا جواب لهؤلاء المشركين إلا الإقرار، بأن الله هو الذي نزل من السماء ماءً فأحيا به الأرض بعد موتها.. فهذا من ذاك، أو من بعض ذاك..

وقوله تعالى: ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ هو تعقيب على هذا الإقرار، الذي ألجأ

المشركين إليه، ما طلع عليهم من آيات الله، فأتوا إليه مذعنين..

وهذا مما يجدد للمؤمن نظراً إلى نعم الله، حيث قهر جلالها المشركين الضالين، فاعترفوا برب هذه النعم، وأضافوها إليه.. وإن الحمد والولاء لله، هو ما ينبغي أن يسبّح به المؤمن في هذا المقام، مقام تلك النعمة الجليلة، وهي نزول الماء من السماء، وما لهذا الماء من آثار في بعث الحياة في الحياة! (١).

✓ **حادي عشر: ابن عاشور (ت ١٣٩٣هـ):**

ابن عاشور هو أكثر من اعتنى ببيان هذا النوع من المفسرين.

(١) التفسير القرآني للقرآن، للخطيب (١١ / ٤٦٥).



في قوله تعالى: ﴿ قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ ﴾ [الأنعام: ١٢] قال: "ولكونه مُرادًا به الإلجاء إلى الإقرار، كان الجواب عنه بما يريده السائل من إقرار المسؤول مُحققًا لا محيَّص عنه؛ إذ لا سبيل إلى الجحد فيه أو المُغالطة، فذلك لم ينتظر منه جوابًا" (١).

وفي قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَرَكُمْ وَخَمَّ عَلَى قُلُوبِكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ أَنْظَرَ كَيْفَ نَصَرَفُ الْآيَاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ ﴾ [الأنعام: ٤٦]، قال ابن عاشور: "وهو استفهام مُستعملٌ في التقرير يُقصد منه إلجاء السامعين إلى النَّظر في جوابه، فيوقنوا أنه لا إله غيرُ الله يأتِيهم بذلك؛ لأنَّه الخالق للسمع والأبصار والعقول، فإنَّهم لا يُنكرون أن الأصنام لا تخلق" (٢).

وفي قوله تعالى: ﴿ قُلْ مَنْ ينجيكم من ظلمات البر والبحر تدعونه تضرعًا وخفيةً لئن أبغنا من هذِهِ لَنكونن من الشكرين ﴾ (١٣) قُلِ اللَّهُ ينجيكم منها ومن كلِّ كربٍ ثم أنتم تُشركون ﴾ [الأنعام: ٦٣، ٦٤]، قال ابن عاشور: "والاستفهام مُستعملٌ في التقرير والإلجاء" (٣).

وفي قوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يناديهم فيقول أين شركاءي الذين كنتم تزعمون ﴾ (١٤) قَالِ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ ﴾ [القصص: ٦٢، ٦٣]، قال ابن عاشور: "وكان هذا المقصد الإلجاء من الله إياهم ليُعلنوا تنصُّلهم من ادِّعاء أنَّهم شركاء على رُؤوس الملائكة" (٤).

وفي قوله تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ [العنكبوت: ٦٣]، قال

(١) التحرير والتنوير، لابن عاشور (٧/ ١٥٠، ٣٦٨).

(٢) التحرير والتنوير، لابن عاشور (٧/ ٢٣٤).

(٣) التحرير والتنوير، لابن عاشور (٧/ ٢٨٠).

(٤) التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢٠/ ١٥٩).



ابن عاشور: "قال تعالى: ﴿ فَانظُرْ إِلَىٰ آثَارِ رَحْمَةِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَٰلِكَ لَمَحْيِ الْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [الروم: ٥٠]، وقال: ﴿ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴾ [الروم: ١٩]، ولمَّا كان سياق الكلام هنا في مساق التَّقرير كان المَقام مُقتضياً للتَّأكيد بزيادة ﴿ مِنْ ﴾ في قوله: ﴿ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا ﴾ إِيَّاءَ لَهُمْ إِلَى الإِقْرَار بِأَنَّ فَاعِلَ ذَلِكَ هُوَ اللَّهُ دُونَ أَصْنَامِهِمْ؛ فَذَلِكَ لَمْ يَكُن مُقْتَضَى لزيادة (مِنْ) فِي آيَةِ الْبَقْرَةِ، وَفِي الْجَائِثَةِ [٥] ﴿ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴾ ^(١).

وَفِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ أَتُنُونِي بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَرَةٍ مِنْ عِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [الأحقاف: ٤]، قَالَ: "انْتَقَلَ إِلَى الاستدلال على بطلان نفي صِفَةِ الإِلَهِيَّةِ عَنْ أَصْنَامِهِمْ، فَجُمِلَتْ: ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ ﴾ أَمْرٌ بِالإِقْرَارِ عَلَى إِبْطَالِ الإِشْرَاقِ، وَهُوَ أَصْلُ ضَلَالِهِمْ.

وَجَاءَ هَذَا الاستدلال بِأَسْلُوبِ المُنَاطَرَةِ، فَجَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ مُوَاجِهًا لَهُمْ بِالاحتِجَاجِ؛ لِيَكُونَ إِجْءًا لَهُمْ إِلَى الاعْتِرَافِ بِالعِجْزِ عَنِ مَعَارِضَةِ حُجَّتِهِ، وَكَذَلِكَ جَرَى الاحتِجَاجُ بَعْدَهُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ بِطَرِيقَةِ أَمْرِ التَّعْجِيزِ بِقَوْلِهِ: ﴿ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ أَتُنُونِي بِكِتَابٍ ﴾. وَ﴿ أَرَأَيْتُمْ ﴾ اسْتِفْهَامٌ تَقْرِيرِيٌّ، فَهُوَ كِنَايَةٌ عَنِ مَعْنَى: أَخْبِرُونِي، وَقَدْ تَقَدَّمَ فِي سُورَةِ الأَنْعَامِ ^(٢).

☑ ثَانِي عَشْرَ: الشَّيْخُ الهَرِّي (مِن المَعَاصِرِينَ: ت ١٤٤١هـ):

قَالَ: "وَعِبَارَةُ المِرَاغِي هُنَا قَوْلُهُ: ﴿ قُلْ لِلَّهِ ﴾ [الأَنْعَامُ: ١٢] هَذَا تَقْرِيرٌ لِلجَوَابِ نِيَابَةً عَنْهُمْ، أَوْ إِجْءًا لَهُمْ إِلَى الإِقْرَارِ بِأَنَّ الكُلَّ لَهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَلَا

(١) التَّحْرِيرُ وَالتَّنْوِيرُ، لَابِنِ عَاشُور (٢١ / ٢٩).

(٢) التَّحْرِيرُ وَالتَّنْوِيرُ، لَابِنِ عَاشُور (٢٦ / ٩).



خلاف بيني وبينكم في ذلك، ولا تقدرّون أن تضيفوا شيئاً آخر إليه. وإتيان السائل بالجواب يحسن إذا كان ما يأتي به هو عين ما يعتقده المسؤول أو يغفل عنه أو ينكره لجهله أو غفلته عن كونه لازماً لما يعرفه ويعتقده انتهت^(١).

وقال أيضاً: ﴿فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ﴾ [الأنعام: ٨١] دون أن يقول: فأينا أحق بالأمن: الإشارة إلى أن هذه المقابلة عامة لكل موحد ومشارك، لا خاصة به وبهم، والبعد عن التصريح بخطئهم الذي ربما يدعو إلى اللجاج والعناد والاحتراس من تنفيرهم من الإصغاء إلى قوله، وإن كان قد علم قطعاً أنه هو الأمن لا هم، كما قال الشاعر:

فَلَيْسَ لِقَيْتِكَ خَالِيَيْنِ لَتَعْلَمَنَّ أَيِّي وَأَيِّكَ فَارِسُ الْأَحْزَابِ^(٢)

أي: أينا، ومعلوم عنده أنه هو فارس الأحزاب لا المخاطب.

﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾؛ أي: إن كنتم من أهل العلم والبصيرة في هذا الأمر.. فأخبروني بذلك وبيئوه بالأدلة. وفي هذا إجماع لهم إلى الاعتراف بالحق، أو السكوت على الحمق والجهل. والمعنى: أي إذا كان الأمر على ما تقدم من أن معبودي هو الله المتصف بتلك الصفات، ومعبودكم هي تلك المخلوقات.. فكيف تخوفوني بها^(٣).

☑ ثالث عشر: مجمع البحوث:

في قوله تعالى: ﴿فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام: ٨١]، ورد ما نصه: "أي: فأينا في موقف الأمن من وقوع المكروه الذي تخوفونا به؟!

(١) تفسير حدائق الروح والريحان، للهرري (٢/ ٢٢٨).

(٢) البيت بلا نسبة في شرح التصريح، للأزهري (٢/ ٤٤)، والمحتسب، لابن جني (١/ ٢٥٤)، ومغني اللبيب، لابن هشام (ص ١٤١)، وهمع الهوامع، للسيوطي (٢/ ٥١).

(٣) تفسير حدائق الروح والريحان، للهرري (٨/ ٤٣١).



وفي هذا الإلجاء لهم إلى الاعتراف باستحقاقه - عليه الصلاة والسلام - الأمان والطمأنينة دونهم" (١).

ثانياً: أسماؤه:

يتبين مما سبق أن علماء التفسير يسمونه: إلجاءً، وتقريراً.

والفرق بين الإلجاء والتقرير:

يظهر من تعاريف بعض العلماء أنهم لا يفرقون بين الإلجاء والتقرير.

قال الرضي: "ومعنى التقرير: إلجاء المخاطب إلى الإقرار بأمر يعرفه" (٢). وقال في موضع آخر: "وإذا دخلت همزة الاستفهام على (لم) و(لما) فهي للاستفهام على سبيل التقرير، ومعنى التقرير: إلجاء المخاطب إلى الإقرار بأمر يعرفه، كقوله تعالى: ﴿أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا﴾ [الشعراء: ١٨]، و﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ [الشرح: ١]، وقوله:

إِلَيْكُمْ يَا بَنِي بَكْرٍ إِلَيْكُمْ أَلَمَّْا تَعْرِفُوا مِنَّا الْيَقِينَا (٣) (٤).

وقال الطيبي: "تقرير، قيل: أي إلجاء إلى الإقرار" (٥).

وقال عبد الخالق عزيمة: "التقرير، ومعناه: حملك المخاطب على الإقرار والاعتراف بأمر قد استقر عند ثبوته أو نفيه، ويجب أن يليها الشيء الذي تقرره" (٦).

(١) التفسير الوسيط لمجمع البحوث (٣/ ١٢٧٩).

(٢) شرح الكافية، للرضي (٢/ ٢٥١). وانظر: همع الهوامع، للسيوطي (٢/ ٥٦).

(٣) البيت لعمر بن كلثوم في معلقته. انظر: شرح المعلمات السبع، للزوزني (١/ ٢٣٠).

(٤) شرح الكافية، للرضي (٤/ ٨٣). وانظر: دراسات لأسلوب القرآن، لعزيمة (٢/ ٦١٠).

(٥) فتوح الغيب، للطبيبي (٦/ ٣٢).

(٦) دراسات لأسلوب القرآن، لعزيمة (٢/ ٦١٠).



والحق أنه يوجد فرقٌ لطيفٌ بين التقرير والإلجاء، وضحه ابن عاشور بقوله: "والاستفهام مُسْتَعْمَلٌ مجازاً في التَّقْرِيرِ. والتَّقْرِيرُ هنا مُراد به لازم معناه، وهو تَبَكُّيتُ المشركين، وإلجاءهم إلى الإقرار بما يُفْضِي إلى إبطال معتقدهم الشَّرْكي، فهو مُسْتَعْمَلٌ في معناه الكِنَائِيَّ مع معناه الصريح، والمقصود هو المعنى الكِنَائِيُّ.

ولكونه مُراداً به الإلجاء إلى الإقرار، كان الجوابُ عنه بما يُرِيدُهُ السَّائِلُ من إقرار المسؤول مُحَقَّقاً لا محيص عنه؛ إذ لا سَبِيلَ إلى الجحد فيه أو المغالطة، فإِذْلك لم ينتظر السائل جوابهم، وبأدرهم الجواب عنه بنفسه"^(١).
فبيّن أن الإلجاء من لازم معنى التقرير، فهو معنى كِنَائِيٌّ وليس معنى صريحاً، فبيّن بهذا الفرق بين التقرير والإلجاء وأنهما ليسا بنوع واحد.

ومما يدل على التغاير بينهما أيضاً أن الألوّسي فرّق بينهما فقال: "وقوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿قُلْ لِلَّهِ﴾ تقرير للجواب نيابة عنهم، أو إلجاء لهم إلى الإقرار بأن الكل له سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى"^(٢)؛ فاستخدامه (أو) بين التقرير والإلجاء يدل على أنه يوجد فرق بينهما.

ومما يدل على ذلك أيضاً ما قاله شهاب الدين الخفاجي: "قوله: (تقرير لهم) التقرير له معنيان: الحمل على الإقرار، والتثبیت بأن يجعله قارراً متمكناً، ومنه تقرير المسألة، وكلاهما مما نطقت به كتب اللغة كما ذكره الطيبي رَحِمَهُ اللهُ. ومعناه على الثاني: أنه تقرير للجواب لأجلهم؛ أي: نيابة عنهم كما في الكشف، وعلى الأول إلجاء إلى الإقرار بأن الكل له، لأن هذا من الظهور بحيث لا يقدر

(١) التحرير والتنوير، لابن عاشور (٧/ ١٥٠، ٣٦٨).

(٢) روح المعاني، للألوّسي (٤/ ٩٨). وانظر: تفسير المنار، لمحمد رشيد رضا (٧/ ٢٧١).



على إنكاره أحد كما قاله التحرير^(١). فهذا واضح في أن التقرير له معنيان، وأن الإلجاء أحد معنييه.

ويدل على ذلك أيضاً أن ابن عاشور جعل الإلجاء نتيجة للتقرير، فقال في قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَرَكُمْ وَخَنَمَ عَلَى قُلُوبِكُمْ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ أَنْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَصْدِقُونَ ﴾ [الأنعام: ٤٦]، قال ابن عاشور: "وهو استفهام مُستعملٌ في التقرير يُقصد منه إلجاء السامعين إلى النظر في جوابه"^(٢)، فجعل الإلجاء هو مقصود التقرير، وهذا يدل على التغير بينهما.

المطلب الثاني: أساليب الإلجاء.

١- للإلجاء أساليب أربعة، وهي:

١- الأسلوب الأول: أن يسأل السائل سؤالاً، ثم يتولّى السائل الجواب لنفسه بنفسه بما يريده؛ لأن المسؤول لا يسعه إلا أن يجيب بذلك، أو يضطره للجواب بما يريد السائل لأنه لا يقدر أن يكابر ويَجْحَد. نحو قوله تعالى: ﴿ قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾^(٨٤) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ [المؤمنون: ٨٤، ٨٥]، فقد ذكر الجواب.

٢- الأسلوب الثاني: ألا يُذكر جواب من المسؤولين، بل يجيب السائل، كما في قوله تعالى: ﴿ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ اللَّهُ ﴾ [الرعد: ١٦] إذ لا سبيل إلى الجحد.

٣- الأسلوب الثالث: أن يُخَيَّرَ السائل المسؤول بين أمرين، وأحدهما لا يمكن أن يجيب به، فيُلجئه إلى الإجابة الثانية، وذلك كما في قوله تعالى: ﴿ قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ ﴾^(٨٥) فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ

(١) حاشية الشهاب على البيضاوي (٤ / ٢٧).

(٢) التحرير والتنوير، لابن عاشور (٧ / ٢٣٤).



يَقْوِمُ الَّتِي يَعِدُكُمْ رَبُّكُمْ وَعَدًّا حَسَنًا أَفْطَالَ عَلَيْكُمْ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّنْ رَبِّكُمْ فَأَخْلَقْتُمْ مَوَعِدِي ﴿طه: ٨٥، ٨٦﴾، قال البقاعي: "لما كان إخلاف الموعد المؤكد المعين الذي لا شبهة فيه، لما نصب عليه من الدلائل الباهرة، وأوضحه من البراهين الظاهرة، لا يكون إلا بنسيان لطول العهد، أو عناد بسوء قصد، وكان من أبلغ المقاصد وأوضح التقرير إلجاء الخصم بالسؤال إلى الاعتراف بالمراد: سألهم عن تعيين أحد الأمرين، مع أن طول العهد لا يمكن ادعاؤه"^(١).
وكما في قوله تعالى: ﴿فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام: ٨١]^(٢).

❦ الأسلوب الرابع: أن يأتي على طريقة المناظرة.

وذلك كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ أَتُنُونِي بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَرَةٍ مِنْ عِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الأحقاف: ٤].

قال ابن عاشور: قال: "انتقل إلى الاستدلال على بطلان نفي صفة الإلهية عن أصنامهم، فجملة: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ﴾ أمرٌ بإلقاء الدليل على إبطال الإشراف، وهو أصل ضلالهم.

وجاء هذا الاستدلال بأسلوب المناظرة، فجعل النبي ﷺ مواجهاً لهم بالاحتجاج؛ ليكون إلجاءً لهم إلى الاعتراف بالعجز عن معارضة حجته، وكذلك جرى الاحتجاج بعده ثلاث مرات بطريقة أمر التعجيز بقوله: ﴿أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ أَتُنُونِي بِكِتَابٍ﴾. و﴿أَرَأَيْتُمْ﴾ استفهام تَقْرِيرِيٌّ، فهو كناية عن معنى: أَخْبِرُونِي، وقد تقدم في سورة الأنعام"^(٣).

(١) نظم الدرر، للبقاعي (١٢ / ٣٢٧).

(٢) انظر ما قاله الشيخ الهرري في تفسير حدائق الروح والريحان (٨ / ٤٣١) عند هذه الآية.

(٣) التحرير والتنوير، لابن عاشور (٩ / ٢٦).



✽ **المطلب الثالث: ثمرات الاستفهام الإلجائي.**

• **أولاً: التقرير والاهتمام بما بعد فعل الأمر،** قال تعالى: ﴿ قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ كُنْبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأنعام: ١٢]، فقوله: ﴿ لِمَنْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ سؤال تبيكيت، و﴿ قُلْ لِلَّهِ ﴾ تقرير لهم؛ أي: هو الله، لا خلاف بيني وبينكم، ولا تقدر أن تضيفوا شيئاً منه إلى غيره^(١).

• **ثانياً: تبيكيت المشركين.**

• **ثالثاً: اعتراف المسؤول بالمراد؛** بما يُفْضِي إلى إبطال معتقدهم الشُّرْكَِيِّ. قال البقاعي: "من أبلغ المقاصد وأوضح التقرير: إلقاء الخصم بالسؤال إلى الاعتراف بالمراد"^(٢).

• **رابعاً: دَمْغُهُم بِالْحُجَّةِ،** فهو لاء القوم المقدر إلجاؤهم إلى الجواب، سواء أنصفوا فأقروا حَقِيَّةَ الجواب، أم أنكروا وكابروا، فقد حصل المقصود من دَمْغُهُم بِالْحُجَّةِ. وذلك كما نرى من فرعون عندما ناظره موسى ﷺ في الآيات المذكورة بقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى أَنْ أَنْتِ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ [الشعراء: ١٠]، ثم سأله تلك الأسئلة التي لم يجد لها حيلة في مناظرتها كقوله: ﴿ أَوَلَوْ جِئْتِكَ بِشَيْءٍ مُبِينٍ ﴾ [الشعراء: ٣٠]؟ فلم يجد فرعون بداً ولا حيلة من الاستجابة، فلجأ إلى التهديد والوعيد الذي يلجأ إليه من أسقط في يده.

قال الزمخشري: "﴿ قُلْ لِلَّهِ ﴾؛ أي: أنزله الله، فإنهم لا يقدر أن يناكروك، ﴿ ثُمَّ ذَرَّهُمْ فِي خَوْضِهِمْ ﴾ في باطلهم الذي يخوضون فيه، ولا عليك بعد

(١) الكشف عن حقائق غوامض التنزيل، للزمخشري (٢ / ٨).

(٢) نظم الدرر، للبقاعي (١٢ / ٣٢٧).

إلزام الحجة" (١).

• **خامساً: إبلاغ الحجة؛** لأنَّ الكلام مَسُوقٌ مَسَاقَ إبلاغِ الحُجَّةِ، مُقَدَّرَةٌ فيه محاورَةٌ، وليس هو محاورَةٌ حقيقية، وهذا من أسلوب الكلام الصادر من متكلم واحد.

• **سادساً: جذب الانتباه والتشويق لما بعده؛** إذ إنَّ السامع مُتَهَفِّفٌ لمعرفة الجواب.

• **سابعاً: هذا الأسلوب أبلغ تأثيراً.** قال السمعاني: "أمره بالجواب عقيب السؤال؛ ليكون أبلغ في التأثير، وأكد في الحجة؛ لأنَّ مَنْ سألَ غيره عن شيء، ثُمَّ عَقَبَهُ بالجواب، كان ذلك أبلغ تأثيراً" (٢). وقال البغوي: "أمره بالجواب عَقِيبَ السُّؤالِ؛ ليكون أبلغ في التأثير، وأكد في الحجة" (٣).

• **ثامناً: تركيب الاحتجاج القاطع على السؤال.** كما قال الزمخشري فيما ذُكِرَ سابقاً: قال في قوله تعالى: ﴿قُلْ لِمَنْ مَافِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الأنعام: ١٢]: "فإذا تَحَيَّرَوا ولم يُجِيبوا قل: لله.

وقالت فرقة: المعنى: أنه أمر بهذا السؤال، فكأنهم لَمَّا لم يُجِيبوا ولا تَيَقَّنُوا سألوا، فقليل له: قل لله.

والصحيح: أن الله ﷻ أمر محمداً ﷺ بقطعهم بهذه الحجة الساطعة والبرهان القطعي، الذي لا مدافعة فيه عندهم ولا عند أحد؛ ليعتقد هذا المعتقد الذي بينه وبينهم، ثم يتركب احتجاجه عليه، وجاء ذلك بلفظ استفهام وتقرير في قوله: ﴿لِمَنْ مَافِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾.

(١) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، للزمخشري (٢/ ٤٤).

(٢) تفسير السمعاني (٢/ ٩١).

(٣) معالم التنزيل، للبغوي (٢/ ١١١).



• **تاسعاً: الإشارة إلى ظهور الجواب بما لا يُقدَّر على رده.** قال الألوسي:
"وقوله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**: ﴿قُلْ لِلَّهِ﴾ تقرير للجواب نيابة عنهم، أو إلقاء لهم
إلى الإقرار بأن الكل له **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، وفيه إشارة إلى أن الجواب قد بلغ
من الظهور إلى حيث لا يقدر على إنكاره منكر، ولا على دفعه دافع، فإن
أمر السائل بالجواب إنما يحسن - كما قال الإمام - في موضع يكون فيه
الجواب كذلك" (١).



(١) روح المعاني، للألوسي (٤ / ٩٨).

المبحث الثاني

دراسة تطبيقية لآيات الإلجاء في القرآن الكريم

♦ الآية الأولى: قوله تعالى: ﴿ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آفَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُزْلِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَىٰ إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آفَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴾ [آل عمران: ١٢٤، ١٢٥].

قوله تعالى: ﴿ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ ﴾، فيه إلجاء لهم إلى أن يختاروا الإجابة بـ ﴿ بَلَىٰ ﴾. قال ابن عطية: "وقوله تعالى: ﴿ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ ﴾ تقرير على اعتقادهم الكفاية في هذا العدد من الملائكة، ومن حيث كان الأمر بيّناً في نفسه أن الملائكة كافية، بادر المتكلم إلى الجواب؛ ليني ما يستأنف من قوله عليه، فقال: ﴿ بَلَىٰ ﴾، وهي جواب المقررين، وهذا يحسن في الأمور البيّنة التي لا محيد في جوابها، ونحوه قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَىٰ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ ﴾ [الأنعام: ١٩]"^(١).

♦ الآية الثانية: قوله تعالى: ﴿ قُلْ لِمَن مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ كُنَّ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةُ لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأنعام: ١٢].

هذه الآية من أكثر الآيات التي تحدّث عنها المفسرون وأثبتوا فيها الاستفهام الإلجائي، وذلك أنه عندما سألهم: ﴿ قُلْ لِمَن مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾، لم يجدوا إجابة يُجيبون بها إلا إجابة واحدة، وهي: ﴿ قُلْ لِلَّهِ ﴾، قال الماتريدي في تفسير هذه الآية: "تقديره: فإن أجابوك وإلا فقل: لله، وقيل: تقديره: فقل لله، فإنهم لا ينكرون"^(٢).

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية (١/ ٥٠٣).

(٢) غرائب التفسير وعجائب التأويل، للكرمانى (١/ ٣٥٤).



قال الزمخشري: "فإذا تحيروا ولم يُجبوا قل: لله، وقالت فرقة: المعنى أنه أمر بهذا السؤال، فكأنهم لمَّا لم يُجبوا ولا تيقنوا سألوا، فقيل له: قل: لله، والصحيح أن الله عز وجل أمر محمدًا عليه السلام بقطعهم بهذه الحجة الساطعة والبرهان القطعي، الذي لا مدافعة فيه عندهم ولا عند أحد، ليعتقد هذا المعتقد الذي بينه وبينهم، ثم يترك احتجاجه عليه، وجاء ذلك بلفظ استفهام وتقرير في قوله: ﴿لَمَنْ مَأْفَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، والوجه في المحاجة إذا سأل الإنسان خصمه بأمر لا يدافعه الخصم فيه: أن يسبقه بعد التقرير إليه مبادرة إلى الحجة" (١). فقوله: "الذي لا مدافعة فيه عندهم ولا عند أحد"، و"سأل الإنسان خصمه بأمر لا يدافعه الخصم فيه" يبيِّن في الإلجاء.

وقال الزمخشري: "قوله: ﴿قُلْ لِمَنْ مَأْفَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: سؤال تبيكيت، و﴿قُلْ لِلَّهِ﴾: تقرير لهم؛ أي: هو الله لا خلاف بيني وبينكم، ولا تقدر أن تضيفوا شيئاً منه إلى غيره" (٢). فقوله: "لا تقدر أن تضيفوا شيئاً منه إلى غيره" هو معنى الإلجاء.

وقد قال بمثل قول الزمخشري: أبو حيان (٣)، والثعالبي (٤)، وإسماعيل حقي (٥).

وقد فصل ابن عاشور ذلك ووضحه أيما توضيح بقوله: "جملة ﴿قُلْ لِمَنْ مَأْفَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ تكرر في مقام الاستدلال، فإنَّ هذا الاستدلال تضمَّن استيفهاً تقريرياً، والتقرير من مقتضيات التكرير، لذلك لم تُعطف الجملة.

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية (٢/ ٢٧١).

(٢) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، للزمخشري (٢/ ٨).

(٣) البحر المحيط في التفسير، لأبي حيان (٤/ ٤٤٦).

(٤) الجواهر الحسان في تفسير القرآن، للثعالبي (٢/ ٤٤٨).

(٥) روح البيان، للخلوتي (٣/ ١٣).



ويجوز أن يُجْعَلَ تَصْدِيرُ هَذَا الْكَلَامِ بِالْأَمْرِ بِأَنْ يَقُولَهُ مَقْصُودًا بِهِ الْإِهْتِمَامُ بِمَا بَعْدَ فِعْلِ الْأَمْرِ بِالْقَوْلِ عَلَى الْوَجْهِ الَّذِي سَنَبِّئُهُ عِنْدَ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ كَمَ إِن أَنْتُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَنْتُمْ السَّاعَةُ ﴾ فِي هَذِهِ السُّورَةِ [٤٠]، وَالِاسْتِفْهَامُ مُسْتَعْمَلٌ مَجَازًا فِي التَّفْصِيرِ.

والتَّفْصِيرُ هُنَا مُرَادٌ بِهِ لَازِمٌ مَعْنَاهُ، وَهُوَ تَبَكُّيتُ الْمُشْرِكِينَ، وَإِلْجَاؤُهُمْ إِلَى الْإِقْرَارِ بِمَا يُفْضِي إِلَى إِبْطَالِ مَعْتَقَدِهِمُ الشَّرْكَِيِّ، فَهُوَ مُسْتَعْمَلٌ فِي مَعْنَاهُ الْكِنَائِيَّ مَعَ مَعْنَاهُ الصَّرِيحِ، وَالْمَقْصُودُ هُوَ الْمَعْنَى الْكِنَائِيَّةُ.

وَلِكُونِهِ مُرَادًا بِهِ الْإِلْجَاءُ إِلَى الْإِقْرَارِ، كَانَ الْجَوَابُ عَنْهُ بِمَا يُرِيدُهُ السَّائِلُ مِنْ إِقْرَارِ الْمَسْئُولِ مُحَقَّقًا لَا مُحِیْصَ عَنْهُ؛ إِذْ لَا سَبِيلَ إِلَى الْجَحْدِ فِيهِ أَوْ الْمِغَالِطَةِ، فَلِذَلِكَ لَمْ يَنْتَظِرِ السَّائِلُ جَوَابَهُمْ، وَبَادَرَهُمُ الْجَوَابُ عَنْهُ بِنَفْسِهِ بِقَوْلِهِ: ﴿لِلَّهِ﴾ تَبَكُّيتًا لَهُمْ؛ لِأَنَّ الْكَلَامَ مَسْوُوقٌ مَسَاقِ إِبْلَاحِ الْحُجَّةِ مُقَدَّرَةٌ فِيهِ مَحَاوِرَةٌ، وَلَيْسَ هُوَ مَحَاوِرَةٌ حَقِيقِيَّةً، وَهَذَا مِنْ أَسْلُوبِ الْكَلَامِ الصَّادِرِ مِنْ مُتَكَلِّمٍ وَاحِدٍ. فَهَؤُلَاءِ الْقَوْمِ الْمَقْدَّرُ الْإِلْجَاؤُهُمْ إِلَى الْجَوَابِ، سِوَاهُ أَنْصَفُوا فَأَقْرَأُوا أَحَقِّيَّةَ الْجَوَابِ، أَمْ أَنْكَرُوا وَكَابَرُوا، فَقَدْ حَصَلَ الْمَقْصُودُ مِنْ دَمْغِهِمْ بِالْحُجَّةِ، وَهَذَا أَسْلُوبٌ مُتَّبَعٌ فِي الْقُرْآنِ، فَتَارَةً لَا يُذَكَّرُ جَوَابٌ مِنْهُمْ، كَمَا هُنَا، وَكَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ ﴾ [الرعد: ١٦]، وَقَوْلِهِ: ﴿ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿ قُلِ اللَّهُ ﴾ [الأنعام: ٩١]، وَتَارَةً يُذَكَّرُ مَا سَيُجِيبُونَهُ بِهِ بَعْدَ ذِكْرِ السُّؤَالِ مَنْسُوبًا إِلَيْهِمْ أَنَّهُمْ يُجِيبُونَ بِهِ، ثُمَّ يَنْتَقِلُ إِلَى مَا يَتَرْتَّبُ عَلَيْهِ مِنْ تَوْبِيخٍ وَنَحْوِهِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [٨٤] بَعْدَ ذِكْرِ السُّؤَالِ مَنْسُوبًا إِلَيْهِمْ أَنَّهُمْ يُجِيبُونَ بِهِ، ثُمَّ يَنْتَقِلُ إِلَى مَا يَتَرْتَّبُ عَلَيْهِ مِنْ تَوْبِيخٍ وَنَحْوِهِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [المؤمنون: ٨٤-٨٩] (١).

(١) التَّحْقِيقُ وَالتَّنْوِيرُ، لِابْنِ عَاشُورٍ (٧/ ١٥٠).



♦ الآية الثالثة: قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَمَّ عَلَى

قُلُوبِكُمْ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ أَنْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ ﴾ [الأنعام: ٤٦].

في هذه الآية الكريمة جاء الاستفهام بقوله تعالى: ﴿ مَنْ إِلَهٌ ﴾، بعد أن هددهم بأخذ سمعهم وأبصارهم والختم على قلوبهم، وبعد تخيل هذه الحالة حيث يُصيح الإنسان ضائعاً في ظلمات العمى والصَّمَم والجهل، فكان هذا الاستفهام ملجئاً لهم إلى الإيمان بأنه لا يمكن أن يأتيهم بسمع وبصر وعقل إلا الله. قال ابن عاشور: "﴿ مَنْ إِلَهٌ ﴾ مُعَلَّقٌ لِفِعْلِ الرَّؤْيَةِ؛ لِأَنَّهُ اسْتِفْهَامٌ؛ أَي: أَعْلِمْتُمْ جِوَابَ هَذَا اسْتِفْهَامٌ أَمْ أَنْتُمْ فِي شَكٍّ، وَهُوَ اسْتِفْهَامٌ مُسْتَعْمَلٌ فِي التَّقْرِيرِ، يُقْصَدُ مِنْهُ الْجَاءُ السَّامِعِينَ إِلَى النَّظَرِ فِي جِوَابِهِ، فَيُوقِنُونَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ غَيْرَ اللَّهِ يَأْتِيهِمْ بِذَلِكَ؛ لِأَنَّهُ الْخَالِقُ لِلسَّمْعِ وَالْأَبْصَارِ وَالْعُقُولِ، فَإِنَّهُمْ لَا يَنْكُرُونَ أَنَّ الْأَصْنَامَ لَا تَخْلُقُ، وَلِذَلِكَ قَالَ لَهُمُ الْقُرْآنُ: ﴿ أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ [النحل: ١٧]"^(١).

♦ الآية الرابعة: قوله تعالى: ﴿ قُلْ مَنْ يُنْجِيكُمْ مِنْ ظُلْمَتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ نَدْعُونَهُ

تَضُرُّعًا وَخَفِيَّةً لَئِنْ أُنْجَيْنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٦٣﴾ قُلْ اللَّهُ يُنْجِيكُمْ مِنْهَا وَمَنْ كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ مُشْرِكُونَ ﴾ [الأنعام: ٦٣، ٦٤].

جاءت هذه الآية بوصف حال تكون عليه العرب في أسفارها، وهو ضياعها في ظلمات البر والبحر، وخاصة البحر، حيث يكون الإنسان في ظلمات لا يستطيع الهروب منها، والافتكاك عنها، فيتأمل الإنسان نفسه في ذلك الوقت، من الذي يمكن أن ينجيه من ظلمات البر والبحر هذه، فكان العرب في تلك الأوقات لا يلجأون إلا إلى الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، ويتركون ما يعبدونه من الأوثان والأصنام، فبعد أن استفهمهم بقوله: ﴿ قُلْ مَنْ يُنْجِيكُمْ مِنْ

(١) التحرير والتنوير، لابن عاشور (٧ / ٢٣٤).



ظَلُمَتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ، نَضْرَعًا وَخَفِيَةً لِّئِنْ أُنْجِنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٦٣﴾، أَلْجَأَهُمْ إِلَى
الإجابة بقوله: ﴿قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُمْ مِنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ تُشْرِكُونَ﴾.

قال القاضي أبو محمد: "وقوله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُمْ﴾ الآية، سبق في
المجادلة إلى الجواب؛ إذ لا محيد عنه" (١). وقوله: "لا محيد عنه" هذا هو
معنى الإلجاء.

وقال ابن عاشور: "وقوله: ﴿قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنَ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ، نَضْرَعًا
وَخَفِيَةً لِّئِنْ أُنْجِنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ (٦٣) قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُمْ مِنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ
تُشْرِكُونَ ﴿[الأنعام: ٦٣، ٦٤] استئناف ابتدائي، ولَمَّا كان هذا الكلام تهديدًا، وافتتح
بالاستفهام التقريري، تعيَّن أنَّ المقصود بضمائر الخطاب هم المشركون دون
المسلمين، وأصرح من ذلك قوله: ﴿ثُمَّ أَنْتُمْ تُشْرِكُونَ﴾.

**وإعادة الأمر بالقول للاهتمام، كما تقدم بيانه عند قوله تعالى: ﴿قُلْ
أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَنْتُمْ عَذَابَ اللَّهِ أَوْ أَنْتُمْ السَّاعَةُ﴾ [الأنعام: ٤٠] الآية، والاستفهام مُسْتَعْمَلٌ
في التقرير والإلجاء؛ لكون ذلك لا يُنَازَعُونَ فيه بحسب عقائد الشُّرك" (٢).**

◆ **الآية الخامسة: قوله تعالى: ﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ
أَنْتُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾
[الأنعام: ٨١].**

هذه الآية تتحدَّثُ عن وقوفِ الناسِ بين يدي الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** يوم
القيامة، حيث جاء في ذلك اليوم مَنْ أطاعه، وجاء مَنْ عصاه وأشرك معه غيره،
ففي ذلك الموقف يسأل الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** هذا السؤال لهؤلاء الأقسام الذين

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية (٢/ ٣٠٢). وانظر: الجواهر الحسان، للشعالبي
(٢/ ٤٧٧).

(٢) التحرير والتنوير، لابن عاشور (٧/ ٢٨٠).



ضلوا وعبدوا معه غيره، فقال سبحانه: ﴿فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ﴾، ثم جاءت الإجابة التي لا يستطيعون الفرار منها! فكيف يكون أماناً من عصاه وأشرك معه غيره: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾.

قال أبو السعود: "قوله تعالى: ﴿فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ﴾ ناطقٌ ببطلانه حتمًا؛ فإنه كلام مرتبٌ على إنكار خوفه - عليه الصلاة والسلام - في محل الأمن، مع تحقق عدم خوفهم في محل الخوف مسوقٌ لإلجائهم إلى الاعتراف باستحقاقه - عليه الصلاة والسلام - لما هو عليه من الأمن، وبعدم استحقاقهم لما هم عليه، وإنما جيء بصيغة التفضيل المُشْعِرَةِ باستحقاقهم له في الجملة لاستنزاهم عن رتبة المكابرة والاعتساف بسوق الكلام على سنن الإنصاف، والمراد بالفريقين: الفريقُ الآمنُ في محل الأمن، والفريقُ الآمنُ في محل الخوف، فيأثار ما عليه النظم الكريم على أن يقال: فأينا أحقُّ بالأمن أنا أم أنتم؛ لتأكيد الإلجاء إلى الجواب الحق بالتنبيه على علة الحكم، والتفادي عن التصريح بتخطئهم، لا لمجرد الاحتراز عن تزكية النفس" (١).

وقال الهجري: "قوله تعالى: ﴿فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ﴾ دون أن يقول: فأينا أحقُّ بالأمن: الإشارة إلى أن هذه المقابلة عامة لكل موحد ومشارك، لا خاصة به وبهم، والبعد عن التصريح بخطئهم الذي ربما يدعو إلى اللجاج والعناد والاحتراس من تنفيرهم من الإصغاء إلى قوله، وإن كان قد علم قطعاً أنه هو الآمن لا هم، كما قال الشاعر:

فَلَيْنَ لَقَيْتُكَ خَالِيْنٍ لَتَعْلَمَنَّ أَيِّي وَأَيُّكَ فَارِسُ الْأَحْزَابِ
أَي: أينا، ومعلوم عنده أنه هو فارس الأحزاب لا المخاطب.

(١) إرشاد العقل السليم، لأبي السعود (٣/ ١٥٦).



﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾؛ أي: إن كنتم من أهل العلم والبصيرة في هذا الأمر.. فأخبروني بذلك وبيئوه بالأدلة. وفي هذا الإلجاء لهم إلى الاعتراف بالحق، أو السكوت على الحقم والجهل" (١).

◆ الآية السادسة: قوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ لِيَجْعَلَ نُورَهُ قُرْآنًا يَسْرُورًا يُدْوَنَهَا وَيُخْفُونَ كَثِيرًا وَعَلَّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾ [الأنعام: ٩١].

عندما بعث النبي ﷺ؛ كذبه أمم من الناس وطوائف، ومن هؤلاء الذين كذبوه أمة اليهود، الذين بالغوا في التكذيب به حتى قالوا: ﴿مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ﴾، وهنا بعد مقولتهم هذه جيء بسؤال واستفهام يسألهم عن الكتاب الذي أنزل عليهم: ﴿مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى﴾، وهو سؤال لا يستطيعون إلا أن يجيبوا عنه بإجابة واحدة لا محيد عنها، وهو: الله الذي أنزل هذا الكتاب، فيكون ردًا على نفيهم عدم نزول شيء من قبل الله سبحانه وتعالى على عباده، فكان هذا الاستفهام استفهامًا إلجائيًا.

قال الزمخشري: "﴿قُلِ اللَّهُ﴾ أي: أنزله الله، فإنهم لا يقدر أن يُناكروك، ﴿ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ﴾ في باطلهم الذي يخوضون فيه، ولا عليك بعد إلزام الحجة" (٢).

وقال أبو السعود: "﴿قُلِ اللَّهُ﴾ أمر لرسول الله ﷺ بأن يُجيب عنهم إشعارًا بتعيّن الجواب بحيث لا محيد عنه، وإيدانًا بأنهم أفتحوا ولم يقدرُوا على التكلم أصلاً" (٣).

(١) تفسير حدائق الروح والريحان، للهرري (٨ / ٤٣١).

(٢) الكشف عن حقائق غوامض التنزيل، للزمخشري (٢ / ٤٤).

(٣) إرشاد العقل السليم، لأبي السعود (٣ / ١٦٢).



وقال ابن عاشور: "قد جهلوا ما يُفْضِي إلى الجهل بصفة من صفات الله تعالى التي هي صفة الكلام، وجهلوا رحمته للناس ولطفه بهم. ومقالُهُم هذا يُعْمُّ جميع البشر؛ لوقوع النكرة في سياق النفي لنفي الجنس، ويعمُّ جميع ما أنزل باقترانه بـ ﴿مِنْ﴾ في حَيْزِ النَّفْيِ للدلالة على استغراق الجنس أيضًا، ويعمُّ إنزال الله تعالى الوحي على البشر بنفي المتعلق بهذين العُمومَيْنِ.

والمراد بـ ﴿شَيْءٍ﴾ هنا شَيْءٌ من الوحي، ولذلك أمر الله نبيّه بأن يُفْحَمَهُم باستفهام تقريرٍ وإلجاء بقوله: ﴿مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى﴾ فذكّرهم بأمرٍ لا يستطيعون جحدَه؛ لتواتره في بلاد العرب، وهو رسالة موسى، ومجيئه بالتوراة، وهي تُدرَس بين اليهود في البلد المجاور مكة، واليهود يُتَرَدَّدُونَ على مكة في التجارة وغيرها، وأهل مكة يُتَرَدَّدُونَ على يثرب وما حولها، وفيها اليهود وأخبارهم، وبهذا لم يُذكّرهم الله برسالة إبراهيم عليه السلام؛ لأنهم كانوا يجهلون أن الله أنزل عليه صُحُفًا، فكان قد يَتَطَرَّقُ اختِلافٌ في كيفية رسالته ونُبوءته، وإذا كان ذلك لا يسع إنكاره كما اقتضاه الجوابُ آخِرَ الآية بقوله: ﴿قُلِ اللَّهُ﴾، فقد ثَبَتَ أن الله أنزل على أحدٍ من البشر كتابًا، فانتقض قولهم: ﴿مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ﴾ على حَسَبِ قاعدة نقض السالبة الكلية بموجبة جزئية" (١).

وقال: "وقوله: ﴿قُلِ اللَّهُ﴾ جوابُ الاستفهام التقريري، وقد تولى السائل الجوابَ لنفسه بنفسه؛ لأن المسؤول لا يسعه إلا أن يجيب بذلك؛ لأنه لا يَقْدِرُ أن يُكَابِرَ، على ما قرّرتُه في تفسير قوله تعالى: ﴿قُلْ لِمَنْ مَافِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ﴾ [الأنعام: ١٢]" (٢).

(١) التحرير والتنوير، لابن عاشور (٧ / ٣٦٣).

(٢) التحرير والتنوير، لابن عاشور (٧ / ٣٦٨).

♦ الآية السابعة: قوله تعالى: ﴿ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يَدْبُرُ الْأَمْرَ فَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تُنْقَوْنَ ﴾ [يونس: ٣١].

في هذه الآية إلزامٌ للمشركين الذين لم يرضوا أن يوحدوا الله ﷻ ويتركوا عبادة الأوثان، جاءت هذه الاستفهامات المتتالية الإلجائية التي تلجئهم إلى أن يقولوا: إنه لا يفعل ذلك إلا الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**. قال الزمخشري: "قوله: ﴿ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ ﴾ حتى قال: ﴿ فَيَقُولُونَ اللَّهُ ﴾ [يونس: ٣١]، ثم قال: ﴿ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَلُ ﴾ [يونس: ٣٢]، فكانهم كانوا يُقِرُّون بألستهم مرّةً، ومرّةً كانوا يتلعثمون عنادًا وضرارًا وحادارًا من إلزام الحجة، ونحوه قوله ﷻ: ﴿ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ اللَّهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ﴾ [الرعد: ١٦]، وأمره أن يقول لهم بعد الإلزام والإلجام الذي إن لم يزد على إقرارهم بألستهم" (١).

وقال ابن عطية: "هذا توقيف وتوبيخ واحتجاج لا محيد عن التزامه" (٢).

♦ الآية الثامنة: قوله تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَدْعُوا الْخَلْقَ ثُمَّ يَعْبُدُوهُ قُلْ اللَّهُ يَدْعُوا الْخَلْقَ ثُمَّ يَعْبُدُوهُ فَأَنْتُمْ تُؤْفَكُونَ ﴾ [يونس: ٣٤].

احتوت هذه الآية على استفهام إلجائي، أُلجئ فيه المشركون إلى الإقرار بأن الله هو المستحق للعبادة، وذلك عن طريق استفهامهم عن إبداء الخلق وإعادته هل يفعل ذلك أحدٌ من شركائهم؟ فلمّا كانت الإجابة لا؛ كان ذلك إلجاءً لهم إلى الاعتراف بوحدانية الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**.

(١) الكشف عن حقائق غوامض التنزيل، للزمخشري (٣/ ٥٨١).

(٢) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية (٣/ ١١٧).



قال أبو جعفر الطبري: "القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَدْعُوا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ قُلِ اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ فَأَنْتُمْ تُوَفَّقُونَ﴾ [يونس: ٣٤]. يقول -تعالى ذكره- لنبية محمد ﷺ: ﴿قُلْ﴾ يا محمد ﴿هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ﴾ يعني: من الآلهة والأوثان ﴿مَنْ يَدْعُوا الْخَلْقَ﴾ يقول: مَنْ يُنشئُ خَلْقَ شَيْءٍ مِنْ غَيْرِ أَصْلٍ، فَيُحْدِثُ خَلْقَهُ ابْتِدَاءً، ﴿ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ يقول: ثُمَّ يُفْنِيهِ بَعْدَ إِنْشَائِهِ، ثُمَّ يَعِيدُهُ كَهَيْئَتِهِ قَبْلَ أَنْ يَفْنِيَهُ، فَإِنَّهُمْ لَا يَقْدِرُونَ عَلَى دَعْوَى ذَلِكَ لَهَا، وَفِي ذَلِكَ الْحِجَّةُ الْقَاطِعَةُ وَالِدَلَالَةُ الْوَاضِحَةُ عَلَى أَنَّهُمْ فِي دَعْوَاهُمْ أَنَّهَا أَرْبَابٌ، وَهِيَ لِلَّهِ فِي الْعِبَادَةِ شُرَكَاءُ، كَاذِبُونَ مَفْتَرُونَ، فَقُلْ لَهُمْ حِينَئِذٍ يَا مُحَمَّدُ: اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ، فَيُنشئُهُ مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ" (١).

ففي قوله: "فإنهم لا يقدرون على دعوى ذلك لها" معنى الإلجاء، وإن لم ينص عليه ﷻ.

وقريبٌ من هذا ما قاله الزمخشري (٢).

♦ **الآية التاسعة: قوله تعالى:** ﴿قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُنَبَّعَ أَمَّنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يَهْدِيَ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ [يونس: ٣٥].

في هذه الآيات استفهامان إيجازيان متتاليان: أولهما كان فيه السؤال عن الشركاء الذين يُشرك بهم مع الله: أيوجد فيهم من يهدي إلى الحق؟ فلما لم يستطيعوا أن يُثبتوا ذلك لغير الله؛ جاء الاستفهام الإيجازي الثاني: أيكون الاتباع لمن يهدي إلى الحق؟ أم يكون الاتباع لمن لا يستطيع أن يهدي إلا بهداية غيره له؟!

(١) جامع البيان، للطبري (١٥ / ٨٥).

(٢) انظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، للزمخشري (٢ / ٣٤٦).



قال ابن جرير: "فإنهم لا يقدرُونَ أن يدعوا أن ألهمهم وأوثانهم تُرشِدُ ضالًّا، أو تهدي جائرًا، وذلك أنهم إن ادَّعوا ذلك لها أكذبتهم المشاهدة، وأبان عجزها عن ذلك الاختبار بالمعينة، فإذا قالوا: لا، وأقروا بذلك، فقل لهم: فالله يهدي الضالَّ عن الهدى إلى الحق" (١).

♦ **الآية العاشرة: قوله تعالى:** ﴿ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ نَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَبَّهُ الْخَلْقَ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَّاحِدُ الْقَهَّارُ ﴾ [الرعد: ١٦].

هذه الآية مثل آيات سابقة أُجِئ فيها المشركون إلى الإقرار برب السموات والأرض. قال الماوردي: "قوله ﷻ: ﴿ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ أمر الله تعالى نبيه أن يقول لمشركي قريش: ﴿ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾، ثم أمره أن يقول لهم: ﴿ قُلِ اللَّهُ ﴾ إن لم يقولوا ذلك إفهامًا قالوه تقريرًا؛ لأنه جعل ذلك إلزامًا" (٢).

وقريب منه قول الزمخشري (٣).

♦ **الآية الحادية عشرة: قوله تعالى:** ﴿ قَالَ فَإِنَا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ ﴾ (٨٥) فرجع موسى إلى قومه، غَضِبْنَا أَسْفًا قَالَ يَقَوْمِ أَلَمْ يَعْذِبْكُمُ رَبُّكُمْ وَعَدَّا حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُمْ مَوْعِدِي ﴾ [طه: ٨٥، ٨٦].

عندما ذهب موسى للقاء ربه ترك قومه مع أخيه هارون موصيًا إياهم بالاستقامة على حدود الله واتباع شرعه، ولكنهم -كعادة بني إسرائيل-

(١) جامع البيان، للطبري (١٥ / ٨٧).

(٢) النكت والعيون، للماوردي (٣ / ١٠٥).

(٣) انظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، للزمخشري (٢ / ٥٢٢).



خالفوا أمره، وعبدوا العجل من بعده، فجاءهم بهذا الاستفهام مخيراً إياهم بين خيارين لا يستطيعون إلا اختيار أحدهما، فكان الاختيار بين أمرين: هل طال عليكم العهد؟ وهذا لا يمكن أن يختاروه، وكان الخيار الثاني: هل أردتم أن يحل عليكم غضب من ربكم؟! فآلجأهم إلى اختيار هذه الإجابة وإن كانوا لم يريدوا ذلك أصلاً.

قال البقاعي: "لما كان إخلاف الموعد المؤكد المعين الذي لا شبهة فيه، لما نصب عليه من الدلائل الباهرة، وأوضحه من البراهين الظاهرة، لا يكون إلا بنسيان لطول العهد، أو عناد بسوء قصد، وكان من أبلغ المقاصد وأوضح التقرير إلباء الخصم بالسؤال إلى الاعتراف بالمراد: سألهم عن تعيين أحد الأمرين، مع أن طول العهد لا يمكن ادعاؤه"^(١).

♦ الآية الثانية عشرة: قوله تعالى: ﴿ قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾

﴿ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ [المؤمنون: ٨٤، ٨٥].

وهذه الآية شبيهة بآيات سابقة كان فيها إلباء إلى الإقرار بأحقية الله بالعبادة دون من سواه.

قال القاضي البيضاوي: "﴿ قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾

إن كنتم من أهل العلم، أو من العالمين بذلك، فيكون استهانته بهم، وتقريراً لفرط جهالتهم، حتى جهلوا مثل هذا الجلي الواضح؛ إلزاماً بما لا يمكن لمن له مسكاة من العلم إنكاره، ولذلك أخبر عن جوابهم قبل أن يجيبوا، فقال: ﴿ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ﴾ لأن العقل الصريح قد اضطرهم بأدنى نظر إلى الإقرار بأنه خالقها"^(٢). فقوله: "إلزاماً"، و"قد اضطرهم" جلي في معنى الإلباء.

(١) نظم الدرر، للبقاعي (١٢ / ٣٢٧).

(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، للبيضاوي (٤ / ٩٣).



وقال ابن كثير: ﴿ قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا ﴾؛ أي: مَنْ مَالِكها الذي خلقها وَمَنْ فِيها مِنَ الحيوانات والنباتات والثمار، وسائر صنوف المخلوقات ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْمُونَ﴾. ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ﴾؛ أي: فيعترفون لك بأن ذلك لله وحده لا شريك له^(١). فقوله: " فيعترفون لك " هو بسبب إلجائهم.

◆ الآية الثالثة عشرة: قوله تعالى: ﴿ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴾ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿ [المؤمنون: ٨٦، ٨٧].
وهذه مثل سابقتها^(٢).

◆ الآية الرابعة عشرة: قوله تعالى: ﴿ قُلْ مَنْ يُدْبِرُ مَا كُنْتُمْ تُكْفِرُونَ ﴾ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ ﴿ [المؤمنون: ٨٨، ٨٩].
وهذه مثل سابقتها^(٣).

◆ الآية الخامسة عشرة: قوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾ ﴿٦٢﴾ قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا إِلَّا نَجَابِدُونَ ﴿ [القصص: ٦٢، ٦٣].

في هذه الآية إلزامٌ في مقامٍ لا ينفع معه الالتزام، فإنَّ هذا السؤال يكون في عرصات يوم القيامة، حيث لا ينفع ندمٌ ولا إجابة، ويُراد بهذا الإلزام إحقاق الحقِّ وإبطال الباطل في ذلك المقام حتى لا يبقى لدى أحدٍ مُسكَّةٌ من شكٍّ. قال ابن عاشور: " وكان هذا المَقْصِدُ الإلْجَاءُ مِنَ اللَّهِ إِيَّاهُمْ لِيُعْلِنُوا تَنْصَلَهُمْ مِنْ ادِّعَاءِ أَنَّهُمْ شُرَكَاءُ عَلَى رُؤُوسِ الْمَلَائِكَةِ^(٤) ".

(١) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٥ / ٤٨٩).

(٢) انظر: الكشف، للزمخشري (٢ / ٥٢٢)، والتحرير والتنوير، لابن عاشور (٧ / ٢٣٤).

(٣) انظر: المرجعين السابقين.

(٤) التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢٠ / ١٥٩).



♦ الآية السادسة عشرة: قوله تعالى: ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ

وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لِيَقُولَنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ [العنكبوت: ٦١].

تقرّر هذه الآية كما تقرّر سابقاتها وحدانية الله سبحانه وتعالى في ربوبيته، والتي يلتزم بها وحدانيته في ألوهيته، ولنذكر في هذا المقام ما قاله عبد الكريم الخطيب في أسلوب جمالي حيث يوضح المراد من الإلجاء هنا بقوله: "﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لِيَقُولَنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ بعد هذه الوقفة مع هؤلاء المؤمنين الذين حملهم المشركون على الهجرة من أوطانهم، بما أخذوهم به من بأساء وضراء - عادت الآيات لتلقي المشركين بقذائفها المدمرة، التي تدكّ بها حصون الشرك، وتهدم قلاعها، بحجتها الدامغة، وبيانها المبين ...

فالمشركون هنا، في مواجهة سؤال، هو: ﴿مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ

وَالْقَمَرَ﴾؟

وإنه لا يجروّ أحد منهم أن يجيب بأن ألهمتهم تلك الجاثمة على الأرض هي التي خلقت السموات والأرض، وأنها هي التي سخرت الشمس والقمر... فمن إذن الذي خلق؟ ومن الذي سخر؟ جواب واحد، هو الله الذي خلق السموات والأرض وسخر الشمس والقمر... إنهم لا ينكرون هذا، ولا سبيل لهم إلى إنكاره.. وإذن فكيف يصرّفون وجوههم عن الله، ويقبلون على هذه الدّمي يعبدونها من دونه؟ أليس هذا سفهاً وضلالاً؟ وبلى إنه السّفه والضلّال والضّياع أيضاً.

وقوله تعالى: ﴿فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ هو تعقيب على هذا السؤال، وعلى الجواب

الذي أجابوا به نطقاً، أو إلجاءً، وإلزاماً، إذ لا جواب لهم غيره! ﴿لِيَقُولَنَّ اللَّهُ﴾^(١).

(١) التفسير القرآني للقرآن، للخطيب (١١ / ٤٦٤).



♦ الآية السابعة عشرة: قوله تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ [العنكبوت: ٦٣].

ما زالت الآيات تردُّ في مقام إقرار استحقاق الله للوحداية دون مَنْ يُعْبَدُ معه مِنْ قِبَلِ المشركين، فجاء الإلزام لهم والإلجاء بأن يقولوا: الله هو الذي نزل الماء من السماء، وهو الذي يحيي الأرض بعد موتها.

قال ابن عاشور: "قال تعالى: ﴿ فَأَنْظُرْ إِلَى آثِرِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [الروم: ٥٠]، وقال: ﴿ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ نُخْرِجُكَ ﴾ [الروم: ١٩]، ولَمَّا كان سياق الكلام هنا في مساق التّقرير كان المَقام مُقتضياً للتأكيد بزيادة ﴿ مِنْ ﴾ في قوله: ﴿ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا ﴾ الإلجاء لهم إلى الإقرار بأنَّ فاعل ذلك هو الله دون أصنامهم؛ فلذلك لم يكن مُقتضى لزيادة (من) في آية البقرة، وفي الجاثية [٥] ﴿ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴾^(١).

♦ الآية الثامنة عشرة: قوله تعالى: ﴿ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ [سبأ: ٢٤].

وهذه إحدى الآيات التي يُحتج بها على أن الرزاق هو الله، فهو المستحق للعبادة، لأنَّه لا يمكن أن يقولوا: إنَّه يوجد خالقٌ غير الله.

قال ابن عطية: "أمر الله تعالى نبيَّه على جهة الاحتجاج وإقامة الدليل على أن الرزاق لهم من السماوات والأرض مَنْ هو، ثم أمره أن يقتضب الاحتجاج بأن يأتي جواب السؤال؛ إذ هم في بهتة ووجمة من السؤال، وإذ لا جواب لهم ولا لمفطور إلا بأن يقول هو الله، وهذه السبيل في كل سؤال جوابه

(١) التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢١ / ٢٩).

في غاية الوضوح؛ لأن المحتج يريد أن يقتضب ويتجاوز إلى حجة أخرى يوردها، ونظائر هذا في القرآن كثيرة^(١). وهنا فصل في بيان معناه من حيث هو سؤال وجواب من نفس السائل ألجأهم به حيث قال: "وإذ لا جواب لهم ولا لمفطور إلا بأن يقول هو الله".

وقال ابن عاشور^(٢) بما يفيد معنى ما قاله ابن عطية.

فهذا تطبيق عملي من المفسرين -رحمهم الله تعالى- في بيان هذا النوع من الاستفهام وأهميته. والله أعلم.

.....

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية (٤ / ٤١٩).

(٢) انظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢٢ / ١٩٢).

الخاتمة

لقد توصلت من خلال دراستي لآيات الإلجاء إلى ما يلي:

- ١- أن طائفة ليست بالقليلة من المفسرين من لدن الإمام الطبري وحتى عصرنا هذا قد تكلموا عن هذا الاستفهام الإلجائي.
- ٢- في الاستفهام الإلجائي دلالة على قُوَّةِ الحُجَّةِ والبيان في القرآن الكريم، حيث أُفْحِمَ قريشٌ بجنس ما برعوا فيه، وهو الفصاحة والبلاغة في الخطاب.
- ٣- الاستفهام مستعمل في التقرير والإلجاء، كما أنه مستعمل في الإنكار، وفي التهكم والسخرية، وهَلَمْ جَرًّا.
- ٤- أن المتكلم يُبادر إلى الجواب ليني ما يستأنف من قوله عليه، فيقول: جوابًا عن المقررین: بلى، حيث كان الأمر بينًا في نفسه، وهذا يحسن في الأمور البينة التي لا محيد في جوابها.
- ٥- إِبْلَاغُ الحجة؛ لأنَّ الكلام مسوق مساق إِبْلَاغِ الحجة، مقدرة فيه محاوره، وليس هو محاوره حقیقیة، وهذا من أسلوب الكلام الصادر من متكلم واحد.
- ٦- جذب الانتباه والتشويق لما بعده؛ إذ إنَّ السامع متلهف لمعرفة الجواب، فهو أبلغ تأثيرًا.
- ٧- من الملاحظ كثرة استخدام هذا الأسلوب في آيات سورة الأنعام، ومن المعلوم والمقرر عند أهل التخصص أنَّ هذه السورة قد جاءت لتقرير العقيدة الإسلامية الصحيحة.

٨- بلغت عدد المواضيع (١٨) موضوعاً.

وأوصي طلبة العلم بمزيد اعتناء بهذا النوع من الاستفهام؛ إذ فيه ما سبق ذكره، وفيه من التقرير والفصاحة ما يظهر إعجاز القرآن.



المصادر والمراجع

١. «الإتقان في علوم القرآن». السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين (ت ٩١١هـ). تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. د. ط، الهيئة المصرية العام للكتاب، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م.
٢. «أحكام القرآن». المالكي، محمد بن عبد الله؛ ابن العربي المعافري الإشبيلي (ت ٥٤٣هـ). راجع أصوله وخرج أحاديثه وعلق عليه: محمد عبد القادر عطا. ط٣، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.
٣. «إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (تفسير أبي السعود)». العمادي، أبو السعود محمد بن محمد بن مصطفى (ت ٩٨٢هـ). د. ط، بيروت: دار إحياء التراث العربي.
٤. «الألفاظ». ابن السكيت، أبو يوسف يعقوب بن إسحاق (ت ٢٤٤هـ). تحقيق: د. فخر الدين قباوة. ط ١، مكتبة لبنان ناشرون، ١٩٩٨م.
٥. «الإملاء والترقيم في الكتابة العربية». إبراهيم، عبد العليم (المتوفى بعد ١٣٩٥هـ). د. ط، مصر: مكتبة غريب.
٦. «الانتصارات الإسلامية في كشف شبه النصرانية». الطوفي، أبو الربيع؛ نجم الدين، سليمان بن عبد القوي بن عبد الكريم الصرصري (ت ٧١٦هـ). تحقيق: سالم بن محمد القرني. ط ١، الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤١٩هـ.
٧. «أنوار التنزيل وأسرار التأويل (تفسير البيضاوي)». البيضاوي، ناصر الدين، أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي (ت ٦٨٥هـ). تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي. ط ١، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤١٨هـ.



٨. «إيضاح شواهد الإيضاح». القيسي، أبو علي؛ الحسن بن عبد الله (ت القرن السادس). دراسة وتحقيق: د. محمد بن حمود الدعجاني. ط ١، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م.
٩. «البحر المحيط في التفسير». الأندلسي، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين (ت ٧٤٥هـ). تحقيق: صديقي محمد جميل. د. ط، بيروت: دار الفكر، ١٤٢٠هـ.
١٠. «البرهان في علوم القرآن». الزركشي، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر (ت ٧٩٤هـ). تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. ط ١، دار إحياء الكتب العربية، ١٣٧٦هـ - ١٩٥٧م.
١١. «البلاغة العربية». الميداني، لعبد الرحمن بن حسن حَبَنَكَة الدمشقي (ت ١٤٢٥هـ). ط ١، دمشق: دار القلم/ بيروت: الدار الشامية، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.
١٢. «تاج العروس من جواهر القاموس». الزبيدي، أبو الفيض محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني الملقب بمرتضى (ت ١٢٠٥هـ). تحقيق: مجموعة من المحققين. د. ط، دار الهداية، د. ت.
١٣. «التحرير والتنوير: تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد». ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر التونسي (ت ١٣٩٣هـ). د. ط، تونس: الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤م.
١٤. «تفسير الشعراوي». الشعراوي، محمد متولي (ت ١٤١٨هـ). د. ط، مطابع أخبار اليوم، ١٩٩٧م.



١٥. «تفسير القرآن العظيم». ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي البصري ثم الدمشقي (ت ٧٧٤هـ). تحقيق: سامي بن محمد سلامة. ط ٢، دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

١٦. «تفسير القرآن». السمعاني، أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار بن أحمد المرزوي التميمي الحنفي ثم الشافعي (ت ٤٨٩هـ). تحقيق: ياسر بن إبراهيم، وغنيم بن عباس بن غنيم. ط ١، الرياض: دار الوطن، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

١٧. «التفسير القرآني للقرآن». الخطيب، عبد الكريم يونس (ت بعد ١٣٩٠هـ). د. ط، القاهرة: دار الفكر العربي، د. ت.

١٨. «تفسير المراغي». المراغي، أحمد بن مصطفى (ت ١٣٧١هـ). ط ١، مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ١٣٦٥هـ - ١٩٤٦م.

١٩. «تفسير المنار». رضا، محمد رشيد (ت ١٣٥٤هـ). د. ط، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م.

٢٠. «التفسير الوسيط للقرآن الكريم». مجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر. ط ١، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م.

٢١. «تفسير حقائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن». الهري، محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الشافعي. إشراف ومراجعة: د. هاشم محمد علي بن حسين مهدي. ط ١، بيروت: دار طوق النجاة، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.

٢٢. «التلخيص في معرفة أسماء الأشياء». العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد (ت نحو ٣٩٥هـ). غني بتحقيقه: د. عزة حسن. ط ٢، دمشق: دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، ١٩٩٦م.



٢٣. «التنوير شرح الجامع الصغير». الصنعاني، محمد بن إسماعيل بن صلاح (ت ١١٨٢هـ). تحقيق: د. محمد إسحاق محمد إبراهيم. ط ١، الرياض: مكتبة دار السلام، ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م.

٢٤. «تهذيب اللغة». الأزهرى، أبو منصور محمد بن أحمد (ت ٣٧٠هـ). تحقيق: محمد عوض مرعب. ط ١، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ٢٠٠١م.

٢٥. «جامع البيان في تأويل القرآن». الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي أبي جعفر (ت ٣١٠هـ). تحقيق: أحمد محمد شاكر. ط ١، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

٢٦. «جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع». الهاشمي، أحمد بن إبراهيم بن مصطفى (ت ١٣٦٢هـ). ضبط وتدقيق وتوثيق: د. يوسف الصميلي. د. ط، بيروت: المكتبة العصرية، د.ت.

٢٧. «الجواهر الحسان في تفسير القرآن». الثعالبي، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف (ت ٨٧٥هـ). تحقيق: الشيخ محمد علي معوض، والشيخ عادل أحمد عبد الموجود. ط ١، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤١٨هـ.

٢٨. «حاشية السندي على سنن النسائي». السندي، أبو الحسن محمد بن عبد الهادي التتوي نور الدين (ت ١٣٨هـ). ط ٢، حلب: مكتب المطبوعات الإسلامية، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

٢٩. «حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي (عناية القاضي وكفاية الراضي على تفسير البيضاوي)». الخفاجي، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر المصري الحنفي (ت ١٠٦٩هـ). د. ط، بيروت: دار صادر، د.ت.



٣٠. «دراسات لأسلوب القرآن الكريم». عزيمة، محمد عبد الخالق (ت ١٤٠٤هـ). د. ط، القاهرة: دار الحديث، د.ت.

٣١. «درر الحكام في شرح مجلة الأحكام». أفندي، علي حيدر خواجه أمين (ت ١٣٥٣هـ). تعريب: فهمي الحسيني. ط ١، دار الجيل، ١٤١١هـ - ١٩٩١م.

٣٢. «الذريعة إلى مكارم الشريعة». الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب (ت ٥٠٢هـ). تحقيق: د. أبو اليزيد أبو زيد العجمي. د. ط، القاهرة: دار السلام، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.

٣٣. «رد المختار على الدر المختار». ابن عابدين، محمد أمين بن عمر الدمشقي الحنفي (ت ١٢٥٢هـ). ط ٢، بيروت: دار الفكر، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

٣٤. «روح البيان. الخلوقي»، أبو الفداء إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي (ت ١١٢٧هـ). د. ط، بيروت: دار الفكر.

٣٥. «روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني». الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني (ت ١٢٧٠هـ). تحقيق: علي عبد الباري عطية. ط ١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ.

٣٦. «شرح التصريح على التوضيح». الأزهرري، خالد بن عبد الله بن أبي بكر بن محمد (ت ٩٠٥هـ)، ط ١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

٣٧. «شرح المعلقات السبع». الزوزني، حسين بن أحمد بن حسين (ت ٤٨٦هـ)، ط ١، دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.



٣٨. «العين». الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم البصري (ت ١٧٠هـ). تحقيق: د. مهدي المخزومي ود. إبراهيم السامرائي. د. ط، دار ومكتبة الهلال، د. ت.

٣٩. «غرائب التفسير وعجائب التأويل». الكرمانى، محمود بن حمزة بن نصر أبو القاسم برهان الدين المعروف بتاج القراء (ت نحو ٥٠٥هـ). د. ط، جدة: دار القبلة للثقافة الإسلامية/ بيروت: مؤسسة علوم القرآن، د. ت.

٤٠. «فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب». الطيبي، شرف الدين الحسين بن عبد الله (ت ٧٤٣هـ). ط ١، دبي: جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م.

٤١. «القاموس الفقهي لغةً واصطلاحاً». أبو حبيب، د. سعدي. ط ٢، دمشق: دار الفكر، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

٤٢. «الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل». الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر بن أحمد جار الله (ت ٥٣٨هـ). ط ٣، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٠٧هـ.

٤٣. «اللباب في علوم الكتاب». ابن عادل، أبو حفص سراج الدين عمر بن علي الحنبلي الدمشقي النعماني (ت ٧٧٥هـ). تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض. ط ١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

٤٤. «لسان العرب». ابن منظور، أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي جمال الدين الأنصاري الرويفعي الإفريقي (ت ٧١١هـ). ط ٣، بيروت: دار صادر، ١٤١٤هـ.

٤٥. «المبسوط». السرخسي، محمد بن أحمد بن أبي سهل شمس الأئمة (ت ٤٨٣هـ)، د. ط، بيروت: دار المعرفة، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.



٤٦. «المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها». ابن جني، أبو الفتح عثمان الموصلي (ت ٣٩٢هـ). د. ط، وزارة الأوقاف - المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

٤٧. «المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز». ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام الأندلسي المحاربي (ت ٥٤٢هـ)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد. ط ١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٢هـ.

٤٨. «المحكم والمحيط الأعظم». ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل المرسي (ت ٤٥٨هـ). تحقيق: عبد الحميد هنداوي. ط ١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

٤٩. «مختار الصحاح». الرازي، أبو عبد الله زين الدين محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي (ت ٦٦٦هـ)، تحقيق: يوسف الشيخ محمد. ط ٥، بيروت: المكتبة العصرية والدار النموذجية، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

٥٠. «المصباح المنير في غريب الشرح الكبير». الفيومي، أبو العباس أحمد بن محمد بن علي الحموي (ت نحو ٧٧٠هـ). د. ط، بيروت: المكتبة العلمية، د.ت.

٥١. «معالم التنزيل في تفسير القرآن». البغوي، محيي السنة أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء الشافعي (ت ٥١٠هـ). تحقيق: عبد الرزاق المهدي. ط ١، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٠هـ.

٥٢. «معجم اللغة العربية المعاصرة». عمر، د. أحمد مختار عبد الحميد (ت ١٤٢٤هـ). ط ١، عالم الكتب، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.



٥٣. «المعجم الوسيط». مجمع اللغة العربية بالقاهرة. د. ط، دار الدعوة، د.ت.
٥٤. «مغني اللبيب عن كتب الأعراب». ابن هشام، عبد الله بن يوسف بن أحمد (ت ٧٦١هـ). تحقيق: د. مازن المبارك، محمد علي حمد الله. ط ٦، دمشق: دار الفكر، ١٩٨٥ م.
٥٥. «مفاتيح الغيب (تفسير الرازي)». الرازي: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الملقب بفخر الدين خطيب الري (ت ٦٠٦هـ). ط ٣، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٠هـ.
٥٦. «مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين». الأشعري، أبو الحسين علي بن إسماعيل (ت ٣٢٤هـ). عني بتصحيحه: هلموت ريتز. ط ٣، ألمانيا: دار فرانزشتايز، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠ م.
٥٧. «الموسوعة الفقهية الكويتية». وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالكويت.
٥٨. «نظم الدرر في تناسب الآيات والسور». البقاعي، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط (ت ٨٨٥هـ). د. ط، القاهرة: دار الكتاب الإسلامي، د.ت.
٥٩. «النكت والعيون». الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي (ت ٤٥٠هـ). تحقيق: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم. د. ط، بيروت: دار الكتب العلمية، د. ت.
٦٠. «نكت وتنبهات في تفسير القرآن المجيد». البسيلي، أبو العباس التونسي (ت ٨٣٠هـ). تقديم وتحقيق: محمد الطبراني. ط ١، الدار البيضاء: منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمملكة المغربية، مطبعة النجاح الجديدة، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨ م.



٦١. «نواهد الأبيكار وشوارد الأفكار (حاشية السيوطي على تفسير البيضاوي)».

السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين (ت ٩١١هـ). د. ط، مكة: جامعة

أم القرى - كلية الدعوة وأصول الدين، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٥م.

٦٢. «همع الهوامع في شرح جمع الجوامع». السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي

بكر (ت ٩١١هـ). تحقيق: عبد الحميد هنداوي. د. ط، مصر: المكتبة التوفيقية، د.ت.



فهرس الموضوعات

١٤٩ مستخلص البحث
١٥٣ المقدمة
١٥٤ أهمية الموضوع
١٥٤ أسباب اختياره
١٥٦ خطة البحث
١٥٧ منهج البحث
١٥٨ التمهيد: التعريف بمفردات العنوان
١٥٨ المطلب الأول: الاستفهام لغةً، واصطلاحًا
١٦٣ المطلب الثاني: الإلجاء لغةً، واصطلاحًا
١٧١ المبحث الأول: الدراسة التأصيلية
١٧١ المطلب الأول: الاستفهام الإلجائي عند المفسرين، وأسمائه
١٨٤ المطلب الثاني: أساليب الإلجاء
١٨٦ المطلب الثالث: ثمرات الإلجاء
١٨٩ المبحث الثاني: دراسة تطبيقية لآيات الإلجاء في القرآن الكريم
٢٠٥ الخاتمة
٢٠٧ المصادر والمراجع
٢١٧ فهرس الموضوعات



TADABBUR MAGAZINE

Refereed Scientific Biannual Journal specialized in the Arbitration and Publication of the Researches and Studies related to the Areas of Meditating on the Holy Qur'an

The eighth issue, Rajab 1441 AH, corresponding to March 2020, the fourth year

﴿ كَتَبْنَا إِلَيْكَ مَبْرُوكًا لِيَدَّبُرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ [ص: ٢٩]

TADABBUR MAGAZINE Index:

- 🌸 **The Qur'anic Purposes of Sura Qāf**
Hammad Mohammed Yusuf
- 🌸 **The Eloquence of the Koranic Style of Dialogue: the Prophets' Dialogue with their Children as a Model**
Dr. Badria Saeed Mo'eedh Al-Wadi'ee
- 🌸 **Compulsory Question in the Koranic Dialogue: a Thorough Applied study**
Dr. Hamid bin Radi bin Muslih Ar-Rouqi
- 🌸 **Basing the Chapter of Al-Haqqah on the Glorification of Allah (Exalted be He) and the Requisites of Devotion**
Dr. Tawfiq Ali Zabadi
- 🌸 **A Report on a scientific thesis entitled "Meditating on the Noble Koran"**
Dr. Abdullatif bin Abdullah Al-Tuwaijri
- 🌸 **A Report on the Mushaf of the Spiritual Directives of the Noble Quran**
- 🌸 **A Report on The Second International Quranic Conference on the Spiritual Directives of the Noble Quran**

